



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور- الجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها



محاضرات في مقياس البلاغة العربية

السنة الأولى جذع مشترك

د. عبد الحفيظ مراح

الموسم الجامعي

2026/2025



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة زيان عاشور- الجلفة

كلية الآداب واللغات والفنون

قسم اللغة العربية وآدابها



محاضرات في مقياس البلاغة العربية

السنة الأولى جذع مشترك

د. عبد الحفيظ مراح

الموسم الجامعي

2026/2025

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

مقدمة

إذا كان لا بد من مقدمة لمثل هذا العمل المتمثل في هذه المطبوعة، ذات الطبيعة العلمية والبيداغوجية فإن مستهلها الأنسب هو حديث الأهمية، إذ البلاغة تقع في أولوية أي واحد من الدارسين ينتمي للسان العربي إما عن أصل، أو عن انتماء يشفعه الدين، ذلك أن القرآن الكريم ألح على هذا المعنى المتضمن في قوله تعالى: " وَإِنَّهُ لَنَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ (192) نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ (193) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ " الشعراء 195/192 ثم يمكننا الوقوف على تخريج مهم لأحد المهتمين بالشأن البلاغي، وارتباط البلاغة عنده بالفطرة، وأن أمور البيان من جبلة الإنسان، يقول: إن البلاغة معانيها وبيانها مركوزة في نفسك مستقرة عندك بالقوة والفعل، فالرحمن جل جلاله "خلق الانسان علمه البيان" الرحمن 4/3¹.

والحديث كما يمكن أن نسجل جاء فيه موجها للإنسان بالمعنى العام لذلك كان أمر الأهمية - البلاغة - حاضرا ليس فقط بالنسبة لطالب اللغة أو الأدب، إنما يمتد ذلك إلى حيث الانسان، أما إذا تعلق الأمر بالمسلم فإنه عند الزمخشري ملزم للنظر في القرآن الكريم، وهو لا بد ناظر أن يكون قد برع في علمين مختصين بالقرآن هما علم المعاني و علم البيان وتمهل في ارتيادهما².

ثم تأتي حاجة الطالب في هذا المستوى الدراسي، فهي أي " البلاغة من فنون اللغة العربية لا يستغنى عنها أديب أو ناقد ، يعرف الأول بها سبل القول وطرائق التغيير ، ويميز الثاني بها رائع الكلام وجميله من ساقطه وردئيه³ ولا أحسب الطالب إلا أحد هذين الاثنين، وأنه ليس له أن يكون ثالثا.

لقد توخيت إلتزام ما جاء في مقرر هذا المقياس من مفردات البلاغة المتعلقة كما هي الإشارة إلى بمقياس البلاغي إن في مستوى الأعمال الموجهة أو المحاضرة، وقد كان المنهج المتبع في ذلك الوصف باعتبار أن

¹ عبد العزيز بن علي الحزبي، البلاغة الميسرة، دار ابن حزم، ط/2، سنة: 2011، بيروت لبنان، ص: ب.
² الزمخشري جار الله ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط /3، سنة: 1407، بيروت، لبنان، ص: 2.
³ محمد بركات أبو علي وآخرون، علم البلاغة، منشورات جامعة القدس، ط/1، سنة: 1997 عمان الأردن، ص: ج.

دلالات تلك المصطلحات مقررة في جميع المصادر والمراجع ذات الصلة، ولعله في الكم الهائل المعتمد في متن هذه المطبوعة ما يفصح بجلاء عن هذه الحقيقة، وربما تراد الأمر وضوحاً بالنظر إلى الفئة المستهدفة، وهي في سعيها نحو الإمساك المعرفي الواعي بمصطلحات البلاغة، حتى تحولها، فيما يستقبلها من دراسات إلى آليات معالجة وكشف وتحليل.

عندها نصل إلى هذه المعطيات " وظيفة البلاغة تحدد حينئذ في كونها أداة توصيل الرسالة أو فكرة معينة على نحو مقنع ومؤثر، وكل ضروب البلاغة المعروفة وعلومها الثلاثة : المعاني، البيان، البديع هي أدوات توصيل يختار منها المنشئ ما يراه ملائماً لفكرته مناسباً للموقف ومطابقاً لحال المخاطب¹.

ذلك هو المقصد المرجو تحقيقه لدى المتعلمين، وأن شأن ذلك مرهون بإشاعة هذا الوعي، وتنزيله إلى واقع المتعلمين في ممارساتهم إن في مستوى ما يكتبون، أو ما يتكلمون به، وتلك أهمية البلاغة، وأهم مفرداتها المقررة، وذلك هو المبتغى من تدريسها ودراستها

والله من وراء القصد.

¹ محمد ابراهيم شادي، علوم البلاغة، دار اليقين، ط/1، سنة: 2011، ص: 6.

المحاضرات + الأعمال الموجهة

حسب آخر مقترح لمفردات مقياس البلاغة العربية

المحاضرة الأولى:

علم البلاغة (مفهومه، نشأته وتطوه)

البلاغة لغة:

يرد بحث أصول هذه المفردة في مختلف المراجع التي تناولتها بدلالة "الانتهاء والوصول، من فعل بلغ الشيء وصل وانتهى"¹ وذات المعنى نقف عليه فيما يلي: "وأصل مادة الكلمة في اللغة تدور حول وصول الشيء إلى غايته ونهايته، أو إيصال الشيء إلى غايته ونهايته....، وبلغ الغلام وبلغت الجارية، إذا وصلا إلى انتهاء مرحلة ما دون التكليف، ودخلا في مرحلة التكليف.. يقال ذكر بالغ، وأنثى بالغ وبالغة"²

ونحسب أن في ما أوردناه الكفاية، والأمر يتكرر ذاته كما أسلفت الإشارة عند جميع من تناول مفردة البلاغة.

البلاغة اصطلاحاً:

يقول أبو هلال العسكري: " فسميت البلاغة بلاغة لأنها تنهي المعنى إلى قلب السامع فيفهمه، وسميت البلغة بلغة لأنك تتبلغ بها، فتنتهي بك إلى ما فوقها، وهي البلاغ... والبلاغ أيضاً: التبليغ، في قول الله عزّ وجل: "هذا بلاغ للناس أي تبليغ"³ ثم يزيد الأمر تفسيراً ساعياً إلى الإبانة عن طبيعة الوظيفة المقصودة من هذا المفهوم، فيقول: " كل ما تبليغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفس كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن،

¹ إنعام قوّال عكاوي ، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/2 سنة: 1996 ، بيروت، لبنان، ص: 268.

² عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني - البلاغة العربية أسسها ، وعلومها، وفنونها، دار القلم ط/1 سنة: 1996 ، ص: 128 /1.

³ أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395) الصناعتين، تحقيق: علي محمد البيجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، سنة: 1419هـ، بيروت، لبنان، ص: 6.

وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خَلْقاً لم يسمَّ بليغاً وإنما كان المعنى مكشوف المغزى¹ وفي لفتة غاية في الوعي بشأن الكلام في مستوى الجمالية المرتبطة بالقول المؤثر الجاذب للانتباه الذي تتوفر فيه شروط الإبلاغ يقول: "البلاغة اسم يمدح به الكلام"².

و حتى يدلّ على صدقية ما ذهب إليه، يقدم هذا الشاهد "قال إسحاق بن حسان: لم يفسر أحد البلاغة تفسير ابن المقفع، إذ قال: البلاغة اسم لمعان تجري في وجوه كثيرة، منها ما يكون في السكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً، ومنها ما يكون خطباً، وربما كانت رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب فالوحي فيها والإشارة إلى المعنى أبلغ، والإيجاز هو البلاغة"³.

وهو كما ترى من إيراده هذا الاقتباس، يمعن في الإفصاح عن قناعته الراسخة في ضرورة فقه ظلال المصطلح مصطلح البلاغة، ثم جملة العناصر التي يبني عليها، فالهدف الذي تسعى إلى إيصاله، وبعد الغاية الوظيفية، فعنده أن جمال الكلام لا يراد لذاته، إنما القصد منه الإبلاغ على الوجه الأتم.

ولعل العسكري ومن خلال هذه الرؤية يصدر عن معين الجاحظ عندما قال: "وقال بعضهم - وهو أحسن ما اجتبيناه و دوناه - لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه ولفظه معناه، فلا يكون لفظه إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك، ومعنى ذلك أن الكلام البليغ هو الكلام الذي يبلغ المعاني التي في رأس المتكلم إلى عقل السامع"⁴

1 المصدر نفسه، ص : 10.

2 المصدر نفسه، ص : 10.

3 المصدر نفسه، ص : 10.

4 عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، مكتبة الهلال، سنة: 1423هـ، ص 17/1.

وبعد هذه المراحل وعلى ذات الرؤية نجد ابن أبي الأصبع يعمق هذا الإحساس ويدلل على مدى أحقيقته حين يقول متحدثا عن البلاغة: هي لمحة دالة أنها إشارة المتكلم إلى معاني كثيرة بلفظ يشبه ... لقلته واختصاره بإشارة اليد¹.

والملاحظ يستطيع أن يتحسس الخيط الرفيع الذي يشد بعض هذه المعاني إلى بعضها حتى تتراكم الدلالة الحقيقية لمصطلح البلاغة ويكون بذلك خلاصة اجتهاد كثير من العلماء وعلى امتداد أزمنة طويلة، وجهد مركب وعميق.

وبالتقصير في شأن البلاغة من حيث تطورها التاريخي نجد أن كثيرا ممن تناولها جعل حديث العسكري منطقة في التعريف الوظيفي للبلاغة. وهذه الملاحظة الواردة في أحد معاجم البلاغة الحديثة ما يدل على ذلك، حيث يسجل في حديثه عن مادة البلاغة: "والبلاغة: الفصاحة، ورجل بليغ : حسن الكلام فصيح بيلغ بعبارة لسانه كنه ما في قلبه"² ففيها وجوب أن يكون الكلام حسنا، وفيها أيضا أن صاحبها يجب أن يكون بليغا، وقد رأينا قبل قليل أن القول بالبلاغة فيه من عناصر التزكية والمدح الكثير ثم لتكتمل الصورة في المستويين مستوى المعاني ومستوى المباني ذكر الفصاحة، وأنه في اجتماعهما فقط إمكانية التبليغ حيث الانتهاء بما يحيش في خاطر الإنسان إلى المخاطب، وفي ذلك كله حديث عن ماهية البلاغة، وفي الوقت ذاته الإشارة إلى طبيعتها الوظيفية التي يتحقق بها التواصل بين منشئ الكلام الجميل والمتلقي المفيد مما يصله من معاني، فعناصر الجمالية التي تتيحها البلاغة هي التي تغري المتلقي بطلب المزيد وقد أمسكت به أفانيتها، ولمثل هذه القراءة يكون الإقناع إحدى أهم المقاصد التي كان وراء طلب عناصر البلاغة عند حديث النشأة، وربما لمثل هذه المعاني استقرّ تعريف البلاغة منذ القزويني (739هـ) على هذا التعريف الوارد في مقدمة كتابه "الايضاح في علوم البلاغة حين يذكر "أما بلاغة الكلام

1 ابن أبي الأصبع البغدادي ، المصري، تحرير التحرير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، ص: 200.

2 أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، ط/2، سنة: 2007، لبنان، ص: 234.

فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"¹، الذي نورد مقتطفات عنه على سبيل الإضاءة الممهدة فقط ولمن أراد طلب المزيد في هذا الخصوص في مظافها التي سوف نوردها فيما يستقبلنا من حديث.

ملامح نشأة البلاغة وتطورها ومظانها:

لقد حدّد أحد الدارسين* موضوع النشأة (البلاغة) في عناصر موجزة شديدة التركيز، نعمل على الإفادة

منها في هذه الملاحظات:

- 1- مرحلة النشأة على هامش العلوم الأخرى.
- 2- مرحلة التكامل المشترك.
- 3- مرحلة الاستقرار والتفرد.

المرحلة الأولى: النشأة على هامش العلوم الأخرى

يرى بالنسبة للمرحلة الأولى أن البلاغة العربية لم تتشأ مكتملة الأبواب والمباحث وهي مسألة ليست خاصة بها فحسب بل إن البعد التراكمي للمعرفة أمر عرفته جميع العلوم، ثم يسجل أن أهم العلوم التي احتضنتها البداية هي:

أولاً _ العلوم القرآنية:

أ. وهي العلوم التي اهتمت بالنص القرآني الكريم، وذلك من حيث شرحه وتفسيره كعلم التفسير، و أو من حيث بيان وجوه إعجازه كعلم الكلام، ثم يرصد الصلة المنطقية بين التفسير والبلاغة، فهذا الأخير يهتم مجمله بتحليل النص القرآني من نواحيه اللغوية والبيانية، وقد برزت هذه الصلة منذ المحاولات الأولى لعلم

1 الخطيب القزويني (739هـ) ، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/6، سنة: 1985، ص: 80/1.
* ينظر علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها، مصادرها ، مناهجها، مكتبة الشباب، سنة: 1982 - القاهرة، مصر، ص: 9 وبعدها.

التفسير مثل ما نجده في كتاب "مجاز القرآن" لأبي عبيدة معمر بن المثنى (219هـ) الذي جعل بعض الدارسين إلى اعتباره أول كتاب في علم البلاغة لاحتوائه طبعاً على كثير من الأفكار والمفردات البلاغية، ثم يشير بعد ذلك إلى أسماء مثل الرماني والخطابي والباقلاني وابن قتيبة وغيرهم، ويلاحظ أن الأكثر اهتماماً في هذه المرحلة بمسائل البلاغة كانوا من المتكلمين والمفسرين، ويذكر بعضاً من مصادر البلاغة، مثل (المجاز القرآن) لأبي عبيدة، و"معاني القرآن" للفراء، و"تأويل مشكل القرآن" لابن قتيبة، و"تلخيص البيان في مجازات القرآن" للشريف الرضي، و"النكت في إعجاز القرآن" للرماني، و"بيان إعجاز القرآن" للخطابي، و"إعجاز القرآن" للباقلاني،... ثم يرى ملاحظة عامة مفادها أن البلاغة ذاتها في هذه المرحلة كانت علماً قرآنياً، وربما هناك ملاحظة جامعة وردت في مقدمة كتاب قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، يتحدث فيها صاحبه عن علاقة العرب ولغتهم بقيم الامتياز في التعبير القرآني، قال: "دراسة أساليب القرآن الكريم البيانية، ومقابلتها بأساليب البلغاء ثم استخلاص عناصر الجودة في الأولى، ومواضع التقصير في الثانية، ليظهر امتياز القرآن الكريم على كلام الفصحاء الذين استوت لديهم قلة البيان ومن أجل خدمتها خاضوا في مسائل البلاغة كالقول في المجاز وبيان مكانته في التعبير الفني الجميل.... للوقوف على وجه إعجاز القرآن البلاغي وتفضيل كلام على كلام وكانت _ أيضاً _ وراء زيادتهم للمقاييس البلاغية وتعميقها، وإرساء نظرية النظم وتقريرها"¹.

ب. إلى التفسير يضيف في سياق العلاقة بين العلوم القرآنية والبلاغة مسألة علم الكلام الذي يرى أن هناك نقطتي لقاء بالغتي الأهمية بين علم الكلام من ناحية والبلاغة من ناحية أخرى جعلتا علم الكلام واحداً من أهم العلوم التي احتضنت نشأة البلاغة العربية ونموها، ربما نجلي ذلك بعض الشيء فيما يستقبلنا من أقسام.

¹ عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، علم الكتب، ط/1، سنة: 1985، ص: 5.

- أما النقطة الأولى:

فهي المباحث المتعلقة بقضية الإعجاز في التعبير القرآني التي نشأت في الأساس نشأة بلاغية عندما أنكر مشركوا قريش كون القرآن وحيا من عند الله عز وجل، فتحداهم القرآن أن يأتيوا بمثله فلم يستطيعوا، فظل يتدرج معهم في التحدي إلى حد مطالبتهم بالاتيان بسورة من أقصر سورة... فعجزوا فقال قائلهم وهو الوليد بن المغيرة وهو يتحدث عن علاقة القرآن وفصاحته "إنه يعلو ولا يعلى"، ويدعو مشركي قريش إلى البحث عن سبيل آخر لانكار نبوة محمد (صلى الله عليه وسلم) والنيل منه.

- أما النقطة الثانية:

يرى أنها تنطلق من حرص علماء الكلام أنفسهم على حذق فنون البيان والتمرس بأساليب القول وطرقه حتى يتمكنوا من شرح و بيان أفكارهم الكلامية، وكل ذلك بمقتضى مهارات بلاغية، ولمزيد بحث هذه المسألة يمكن الرجوع إلى كثير من المصادر التراثية أو الدراسات الحديثة والمعاصرة التي تناولت هذا الموضوع لا يتسع المجال لبسطها في هذا الموجز لعنا نتطرق لشيء من ذلك حين الحديث عن أثر علماء الكلام، و يكمن أن نورد ملاحظة عامة و لافقة وذات أهمية للذي أسلفنا الحديث عنه، يقول السيد أحمد خليل: "ومنذ نزل القرآن أنشأ العرب يحسون أن بيانهم قد تغير وأن إحساسهم بلغتهم ينبغي أن ينهض على أسس أخرى غير تلك الأسس التي كانوا يقدرونها ويحرصون على سلامتها"¹.

وصدقية معطى البحث الذي زاولته مفاجأة الإعجاز البياني في التعبير القرآني للعرب فراحوا يبحثون عن السر في هذا الإعجاز الأمر الذي يؤكد الرافعي، ويؤكد الحالة النفسية التي صاحبت هذا التحدي وما خلفته من حوافز لفتت انتباههم إلى ضرورة امعان النظر في هذه الحقائق ذات الصلة بأهم مقوم لديهم ألا وهي القدرة على

¹ السيد أحمد خليل ، البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت لبنان، سنة 1968، ص: 60.

الإبانة والإفصاح، يقول " ولما كان الوجه الذي أقبل به القرآن على العرب وجه تلك البلاغة المعجزة، فقد كان من إعجازه أن يأتيهم بأفصح ما تنتهي إليه لغات العرب جميعا ... من أجله صار العرب يكشفون للفصاحة من أي قبيل جاءهم"¹.

أمكن تسجيل تأكيد مدى الحساسية التي حصلت للعرب بسبب نزول القرآن الكريم عليهم، ولا سيما ما حصل لهم حين فاجأهم بأسلوه المبين، فكانت لبعض أسئلتهم تجاه بياينه إحدى روافد انبعاث الدرس البلاغي في التراث، ولعل فيما نوره في هذه الواقعة ما يؤكد ذلك بل من المنقذين من اعتبرها مؤشرا دالا عن انطلاق البحث البلاغي ، وهي كما نوردها مختصرة عند محمد ياقوت الحموي، قال: "أبو عبيدة أرسل إلي الفضل بن الربيع إلى البصرة في الخروج إليه لسنة ثمان وثمانين ومائة فقدمت إلى بغداد واستأذنت عليه فأذن لي... فسلمت عليه بالوزارة فرد وضحك إلي واستدناني متى جلست إليه ثم دخل رجل في زي الكتاب له هيئة فأجلسه إلى جانبي وقال له أتعرف هذا ؟ قال لا، قال هذا أبو عبيدة علامة أهل البصرة أقدمناه لنستفيد من علمه، فدعا له الرجل و قرظه لفعله هذا وقال لي: إني كنت إليه مشتاقا، وقد سألت عن مسألة أفتأذن لي أعرفك إياها ؟ فقلت: هات ، قال: قال الله عز وجل "طلعها كأنه رؤوس الشياطين" الصافات الآية 65.

وإنما يقع الوعد وإلا يعاد بما عرف مثله، وهذا لم يعرف، فقلت : إنما كلم الله العرب على قدر كلامهم، أما سمعت قول امرئ القيس:

أيقتلني والمشرقي مضاجعي
و مسننة زرق كأنياب أغوال

وهم لم يروا الغول قط، ولكنهم لما كان من أمر الغول يهولهم أو عدوا به، فاستحسن الفضل ذلك واستحسنه السائل، وعزمت من ذلك اليوم أن أضع كتابا في القرآن في مثل هذا وشبهه وما يحتاج إليه من علمه، فلما رجعت

¹ مصطفى صادق الرافعي، اعجاز القرآن والبلاغة النبوية دار الكتاب العربي، ط/8، سنة: 2005، بيروت لبنان، ص:46/47.

إلى البصرة عملت كتابي الذي سميته " المجاز "، وسألت عن الرجل السائل فقيل لي: هو من كتاب الوزير وجلسائه، وهو إبراهيم بن اسماعيل الكاتب"¹.

ثانيا العلوم الأدبية:

عند هذا العنصر يسجل الدارس علي عشري* أن مفهوم يراد به مدلولاً محدداً وهو تلك العلوم التي محور اهتمامها النص الأدبي، سواء من ناحية تقويمه وتحليل ظواهره الفنية كالنقد الأدبي، أو من ناحية التأريخ له كتاريخ الأدب، أو من ناحية شرحه وتفسيره كعلم الأدب. ثم يمثل لأثر هذه العلوم مثلاً في إرساخ قضايا البلاغة بكتاب البيان و التبيين للجاحظ الذي يرى أن هذه الأخيرة تشكل البذور التي نماها البلاغيون فيما بعد، ثم يتحدث عن صحيفة بشر بن المعتمر التي ضمنها الجاحظ كتابه السالف الذكر، والتي بدورها شكلت قاعدة أساسية لمباحث البلاغة.

ثم يشير الى امتداد أثر العلوم الأدبية بالمفهوم الذي قدمه في إثراء المسعى العام في تشكيل المعرفة البلاغية والنقدية، سيما منها ما أُلّف حول أبي تمام الذي أشار أنه يمثل الاتجاه التجديدي، والبحثري الذي يمثل الخط المحافظ، ذلك أن هذا النوع من التأليف قد عمد إلى تطوير الأدوات البلاغية بما يسمح باعتبارها آليات تقويم النصوص الشعرية والمفاضلة بينهما.

¹ شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (626هـ) ، معجم الأدياء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط/1، سنة: 1993 بيروت، لبنان، ص: 2707/6.

* ينظر علي عشري زائد، البلاغة العربية، تاريخها، مصادرها مناهجها، ص: 18.

ثالثا العلوم اللغوية:

كان لهذا القسم من المعرفة دور أساسي في ظهور المباحث البلاغية، التي يرى علي عشري زائد أنها "تأثرت هنا وهناك عبر مؤلفات هؤلاء اللغويين الأول بعض الأفكار والملاحظات البلاغية العامة .. من أمثال الأصمعي، وثعلب، والفراء، وغيرهم"¹ يقول ابن المعتز: " والمجانسة أن تشبه اللفظة اللفظة في تأليف حروفها على الوجه الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليه، ولم تكن القدماء تعرف هذا اللقب"² وتنضج هذه المسألة عند علماء اللغة الذين درسوا النحو دراسة جمالية قفزت من مجرد تأمين اللغة لسلامة التواصل، وصيانة اللسان، إلى مستوى التأثير، وتلك المزية الأساس التي تقوم عليها فيما بعد جميع مفردات البلاغة، ذلك جميعه يتوفر عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، في جميع ما كتب، ولا سيما حين يتحسس عطاء البلاغة من خلال قراءة النحو بطريقة غير التي ألفها الناس، ولننظر إذا شئت في هذه العبارة الجامعة الشاملة العميقة حيث تتأخر البلاغة والنحو ليفكاً السر وراء إعجاز التعبير القرآني، يقول: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي انتهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تبخل بشيء منها"³ وفي ملاحظة تطبيقية يتابع فيها مسعى وجوب تقويم التعاطي مع المصطلحات النحوية بما هو أعمق من مجرد ضبط أحوال الكلم، إلى ضرورة الوصول إلى المعاني الثواني التي تتيحها، وهذا الأمر لا يؤتاه إلا من قرأ النحو في ضوء ما تضيفه البلاغة من أساليب استثنائية تحيل على ظلال دلالية، يقول: ".. فجعلا لا ينظرون في الحذف والذكر والإظهار والإضمار، والفصل والوصل، ولا في نوع من أنواع الفروق والوجوه إلا نَظَرُك فيما غيره أهم لك، بل فيما إن لم عمله لم يضرك لا جرم أن ذلك قد ذهب بهم عن معرفة البلاغة"⁴.

¹ علي عشري زايد ، البلاغة العربية، تاريخها ، مصادرها ، مناهجها ، ص : 21.

² أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله (296هـ) البديع، دار الجيل ، ط/ 1، سنة : 1990 ص 25.

³ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز في علم المعاني، تحقيق : محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط/3، سنة: 1992، ص: 81.

⁴ المصدر نفسه، ص : 109.

بل يعتمد إلى ذلك لإبراز التكامل الحاصلة بين ما تمليه القاعدة النحوية المعيارية من جهة، وما تقدمه البلاغة من خلال بحث عناصر الجمالية المنبثقة عن مفهوم الخروج عن مقتضى الظاهر أو ما يعرف بالعدول اعتباراً من أنه إجراء أسلوبى لم تضاف له الدراسات المعاصرة الكثير، ذلك ما يمكننا رصد من قول الجرجاني مسألة المعنى ومعنى المعنى، يقول: فاعلم أنهم يضعون كلاماً قد أعطاك المتكلم أغراضه فيه من طريق معنى المعنى فكّتى وعرض، المثل واستعارة، ثم أحسن في ذلك كلّه وأصاب، ووضع كل شيء منه أي موضعه، وأصاب به شاكلته، و عمد فيما كنى به وشبهه ومثل، لما حسن مأخذه، ودقّ مسلكه، ولطفت إشارته، وأن المعرض وما في معناه، ليس في اللفظ المنطوق به، ولكن المعنى اللفظ الذي دلت به على المعنى الثاني¹ يعلق أحد الدارسين على فكرة المعنى ومعنى المعنى بما يفيد أنها تؤشر على اللحمة الحاصلة بين النحو أو الدراسات اللغوية عامة، وبين إجراءات البلاغة، وكيف استطاع الجرجاني في ضوئها قراءة النحو قراءة جمالية، يقول: وهذا التناول هو ما يسميه عبد القاهر بالمعنى ومعنى المعنى والواقع أن الأديب لا يستطيع التصرف في المعنى النحوي الأول، وإتّما تتحدد قدرته في التصرف في المعنى الثاني².

وبالتركيز في الأبعاد الإجرائية لما يطرحه الجرجاني في هذه المقولة يخلص إلى قمة العطاء البياني في لغة العرب عامة والتعبير القرآني على وجه الخصوص.

كان يمكن أن نستفيض في الحديث عن أثر الدرس اللغوي في كشوفات البلاغة، ولكننا رأينا أن نشير إلى بعض ما انتهى إليه الجرجاني انطلاقاً من اعتبار الدارسين أن الرجل يعد المؤسس الفعلي لعلم البلاغة وأن مجهوده يعد نقطة تحول في دراسته إذ قرأ من خلاله النحو فجاءت ما تعرف بنظرية النظم، التي عدت بحق أهم إنجاز معرفي في حقل الدراسات اللغوية والبلاغية والتراثية.

¹ المصدر السابق، ص: 263.

² السيد أحمد خليل، البلاغة العربية أصلها وأصولها، ص: 156.

يقول أحد المهتمين المعاصر بإنجازات الإمام الجرجاني: " إن بعض مؤرخيه يطلق عليه لقب إمام النحاة ... وربما يكون قد استحق هذا اللقب بما استطاع أن يستنبطه من قواعد النحو مما صار من أسس البلاغة ومسائل النقد¹.

وما أحسب أن أي تعليق ومهما تكن طبيعته مضييفا لما في هذه الملاحظة الوظيفية ذات المسح الشمولي لإنجازات عبد القاهر هذا الأخير الذي تعمق النحو، وألف فيه، وليس أدل على ذلك من كتابه "المعني" وفيه شرح كتاب "الايضاح" للشيخ أبي علي الفارسي " قد رأينا عبد القاهر يعنى بهذا الكتاب عناية بالغة، ويضع عليه شرحا كبيرا يبلغ زهاء ثلاثين مجلداً... ثم يختصر هذا الشرح الكبير في نحو ثلاثة مجلدات"²، لقد أوردنا هذا الشاهد عن السيرة العلمية للرجل حتى نجلي أن عطاءه في علوم البلاغة قد انطلق من مرجعية علمية قوية عميقة، ومن ثم تكشف أن المعارف النحوية خاصة، واللغوية عامة، كانت الأساس الذي إليه تقاس الاستنتاجات البلاغية كما هو الحال مع ظاهرة العدول أو الخروج عن مقتضى الظاهر، ومسألة المعنى ومعنى المعنى.... وغيرها.

¹ أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، سلسلة : أحلام العرب، العدد: 8، القاهرة، مصر، ص: 78.

² المرجع نفسه (السابق) أحمد أحمد بدوي، ص: 6.

* ينظر علي عشري زايد البلاغة العربية تاريخها، مصادرها، مناهجها، ص : 43 وما بعدها.

المرحلة الثانية: التكامل المشترك

إن المطع على الكتب التي بحثت المسار الذي سلكته البلاغة العربية وهي تسعى للتشكل علمًا مستقلا يستهدف مكامن الجمال والتأثير في التعبير العربي، سيما لما انتصرت أغلبية العلماء لفكرة النظم تفسيراً للاعجاز في الخطاب القرآني، يجد أن من بين أهم مباحث هذا المسار، ما صنعه الدكتور زايد الذي أثرنا انتهاج الخطوات التي اتبعتها لقدرتها على الإيجاز الملم، فبعد حديثه عن التقاطعات بين العلوم المنشئة للبلاغة هاهو ذا يحدد بعدها المرحلة الثانية التي عنونها بمرحلة التكامل المشترك* :

حيث يعتبر ابتداء أن السمات العامة لمرحلة النشأة لا تزال تلاحظ، وأن التخلص من التداخل بين المعارف لا يزال حاضرا غير أن مباحث البلاغة صار لها حضور أكثر بروزاً، بما يؤشر لاتجاه تتبلور فيه بوادر الاستقلالية، مع وضوح في المقاصد، وأن هذه الأخيرة - المقاصد - صارت لها طرق متميزة توصل إليها، حيث تلقي في مصب هو قيم التأثير في اللغة ، وأنها تكمن في عدد غير قليل من الممارسات اللغوية ذات الخصوصية، يقول عبد القاهر تحت مسمى فاتحة القول في الفصاحة والبلاغة، فقلتم: " نظم ونظم، وترتيب وترتيب، ونسخ ونسخ ، ثم بنيتم عليه أنه ينبغي أن تظهر المزية في هذه المعاني ها هنا، حسب ظهورها هناك، وأن يعظم الأمر في ذلك كما عَظُمَ ثَمَّ ، وهذا صحيح كما قلتم، ولكن بقي أن نُعلمونا مكان المزية في الكلام، وتصفوها لنا، وتذكروها ذكراً كما يُنصُّ الشيء ويعين، ويكشف عن وجهه ويبين، ولا يكفي أن تقولوا: إنه خصوصية في كيفية النظم وطريقة مخصوصة في نسق الكلم بعضها على بعض، حتى تصفوا تلك الخصوصية وتبينوها"¹.

لقد أثيرت أن يطول هذا الاقتباس لجملة من الفوائد المرجوه منه، وهي كثيفة، ليس أقلها حديث ما نحن بصدد تأكيده، وهو بداية بروز ملامح المنهج المفضي إلى بداية استقلال المباحث البلاغة، فقد أرشد عبد القاهر

* ينظر علي عشري زايد البلاغة العربية تاريخياً، مصادرها، مناهجها، ص : 49 وما بعدها.

¹ عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق: محمود محمد شاكر، طبعة المدني، ط/3، سنة 1992، القاهرة، مصر، ص: 36.

إلى ذلك تصريحاً لا تلميحاً، ففي حديثه عن المزية باعتبارها لطائف تضيي خصوصية على الأساليب دعا إلى ضرورة الإبانة عن مكان المزية، ثم وصفوها، ويجب ألا يتوقف الأمر عنده على مجرد الأراء الانفعالية الانطباعية، بل كما رأينا ضرورة شفع هذه المقولات بما يقوم دليلاً عليها، أما ترى أنه يشترط الوصف، وليس الوصف بالخصوصية باعتبارها مكن الجمال والتأثير إلا حديثاً عن هذه المنبهات اللغوية اللافتة للانتباه التي تعدُّ مناط جمال الأسلوب الذي هو في حقيقة المحصلة الموسومة بالبلاغة.

إن تجربة تنظير المصطلح البلاغي عند الجرجاني رائدة لتأخره في الزمن، الأمر الذي وقّر له تراكما معرفياً لا يسع المقام للاستفاضة فيه، إنما أردناه ها هنا قراءة في المنهج الذي اعتمده البلاغيون في تحصيل قيم الجمالية والتأثير باعتبارها مسميات لمسمى أكبر هي البلاغة.

و بهذا صار واضحاً بداية الحديث المستقل للبلاغة باعتبارها رافداً من روافد علوم اللغة بصفة عامة، أما في صورتها الخاصة فهي مباحث كما أسلفنا ترصد قدرة اللغة على الإغراء بالمضامين والمعاني تحقيقاً لتواصل منتج بين المرسل والمتلقي.

لقد وقع الاختيار على عبد القاهر منبها لطبيعة هذه المرحلة لتأخره زمنياً نسبياً، ثم لاعتبار كثير من الدارسين لهذا الشأن، أن الرجل من خلال إنجازاته يعد نقطة تحول جادة في مسار البلاغة بل منهم من اعتبره بحق هو المؤسس الفعلي لهذا العلم.

يورد الدكتور علي عشري زايد بعض العلماء ومن خلال كتبهم باعتبارهم نماذج لظهور مشروع علم البلاغة وهو في طريقه إلى بناء عمل يمكنه أن يحدد ملامح ذلك المشروع، حتى وإن بقي الامتزاج بين المعارف اللغوية بصورة عامة ، غير أن حدة استحواذ هذه الأخير بدأت في التراجع تحت مسعى الاستقلال الذي بدأ بالبروز كما هو الشأن عند:

1- الرماني أبو الحسن علي بن عرس من عبد الله الرماني (348هـ) وكتابه: "النكت في إعجاز القرآن" و"الذي يعدّ واحدا من الكتب الرائدة حول قضية الإعجاز القرآني، وهو في الوقت ذاته واحد من المصادر الأساسية الأولى في البلاغة العربية.

فالجانب البلاغي في هذا الكتاب طاع على الكلامي، بحيث لا تحيل هذا الأخير سوى أربع من صفحات الكتاب البالغ عددها ستاً وثلاثين صفحة في الطبعة الأولى. بينما يحتل الجانب البلاغي بقية صفحات الكتاب الاثنتين والثلاثين¹، والرماني يكون في هذا العمل قد قسم البلاغة إلى عشرة أبواب وهي: "الإيجاز والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان"².

وإذا شئنا قدمنا من كتابه ما يشفع لفهم غاية في الوعي عن طبيعة البلاغة، بل بطبيعة وظيفتها مع أن زمن الرماني متقدم نسبياً، يقول: وليست البلاغة إلهام المعنى، لأنه قد يفهم المعنى متكلمان أحدهما بليغ والآخر عيبي، ولا البلاغة أيضاً بتحقيق اللفظ على المعنى، لأنه قد يحقق اللفظ على المعنى وهو غث مستكره و نافر متكلف، وإنما البلاغة ايصال المعنى إلى القلب في أحسن صورة من اللفظ فأعلاها طبقة في الحسن بلاغة القرآن ... و أعلى طبقات البلاغة معجز للعرب والعجم .."³.

2- القاضي أبوبكر الباقلاني المتوفي سنة (403هـ) وكتابه: إعجاز القرآن، حيث عدّ كتابه هذا من انضج الكتب التي ألّفت حول الإعجاز القرآني، وهو في الوقت ذاته من المصادر البلاغية الأساسية التي أسهمت في تحديد مسار البلاغة والعربية... فتتفرّد القضايا البلاغية ببعض الفصول كذلك الفصل الطويل الذي خصه للحديث عن (البديع من الكلام)، وذلك الفصل الآخر عن (وصف وجوه البلاغة)⁴، وقد اعتبر مؤلف

¹ علي عشري زايد، البلاغة العربية، ص: 50.

² المرجع نفسه، ص: 51.

³ علي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط/3، سنة: 1976، ص: 76.

⁴ علي عشري زائد، البلاغة العربية. تاريخي، مصادرها، مناهجها، ص: 52.

الكتاب أن عمل الباقلائي يعدُّ أكثر تمثيلاً لطبيعة هذه المرحلة - مرحلة التكامل المشترك - وهو كتاب الباقلائي إعجاز القرآن¹، وربما أمكن الاستشهاد لهذا الأمر بما هو في الكتاب وذلك حين يصرح بوع كافي عند القيمة الفنية التي تقوم عليها البلاغة عامة: " إن عمود هذه البلاغة التي تجتمع لها هذه الصفات، هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه: إما تبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة"²، نعم إنَّه الوعي التام بالمقوم الأساس الذي به فقط تتحقق البلاغة والإبلاغية، وهو وعي يؤشر على مقدار ما من محاولة أفراد المباحث البلاغية باعتبارها مناط الإعجاز في لغة القرآن الكريم.

3- أبو محمد عبد الله بن مسلم قتيبة تأويل مشكل القرآن (276) ، يسجل بخصوص هذا الكتاب وانعكاس طبيعة التأليف فيه بشأن اللغة والبلاغة، مع ملاحظة بداية الفرز بينهما وهي سمة هذه المرحلة، " هذا الكتاب يزداد البحث البلاغي والبحث اللغوي كلاهما تبلوراً ونضجاً، فالأفكار البلاغية واللغوية المتناثرة في مؤلفات المرحلة الأولى وكتبها اللغوية تصبح أبواباً وفصولاً مستقلة في "تأويل مشكل القرآن"³، ثم يردف بعد ذلك أنه قد نضجت بالمثل القضايا والفنون البلاغية وأصبحت ملاحظات أبي عبيدة العابرة عن المجاز والحذف والاختصار والكناية وغيرها من الفنون البلاغية أبواباً مستقلة في كتاب ابن قتيبة"⁴.

وفي مسار هذه المرحلة وبغية رصد مزيد من إجراءات الفرز بين البلاغة وبقية المعارف اللغوية الأخرى، قال: "وكل من يعرض لتاريخ البلاغة العربية يعرض لسمات هذه المرحلة النقدية باعتبارها من مصادر البلاغة

¹ المرجع نفسه، ص 51.

² أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن ، تحقيق : السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/5، سنة: 1997، القاهرة، مصر، ص: 16.

³ علي عشري زائد ، ص : 63.

⁴ المرجع نفسه، ص: 64.

الأولى¹، ثم يمثل لذلك بكتاب الصناعتين لأبي هلال العسكري، و نقد الشعر، لقدامة بن جعفر ولبحث حضور المنزع البلاغي في هذا الكتاب، رصدنا هذه الملاحظة: "قد عالج قدامة في كتابه كثير من قضايا النقد والبلاغة، ومن هذه القضايا قضية لغة الشعر التي نظر إليها من خمس زوايا، هي: محاسن اللفظ وانتلاف اللفظ مع المعنى، وعيوب اللفظ، وعيوب انتلاف اللفظ مع المعنى، وعيوب انتلاف اللفظ والوزن"² وهي مباحث كما نسجل ذات الصلة العميقة بالبلاغة، وقد نلاحظ كيف صارت المصطلحات البلاغية من وسائل الحكم التي تستغل في عملية تقويم الشعر والإبانة عن مستوياته الفنية والجمالية، وربما صار واضحاً أيضاً كيف كان النقد من روافد الفعل البلاغي.

و "عيار الشعر" لابن طباطبا" وقد قارب الرجل في هذا الكتاب قضايا النقد والتميز بما له من العلاقة المتينة بمباحث البلاغة إلى القدر الذي عُدَّ فيه كتابه: " من أهم المصادر التي تكشف عن موقف البلاغة العربية بين الاعتداد بالقيمة الفنية والتطلع نحو القياس وقد عد ابن طباطبا في هذا الكتاب الشعر صنعة ومن هنا بحث الشعر وميزان بلاغته"³.

وكتب النقد التطبيقي التي تهتم بدراسة نتاج شاعر أو أكثر من الشعراء مثل كتاب " الموازنة بين شعر أبي تمام والبحثري للحسن بن بشر الأمدي، لذلك قال أحد الدارسين عن آراء الأمدي في كتابه أنها " كان لها أثر في تطور البحث البلاغي"⁴ والتي منها ملاحظته هذه " أما للاستعارات عند الأمدي فهي التي تقوى فيها الرابطة

¹ المرجع نفسه، ص: 71.

² يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، دار المسيرة، سنة 2007، ط/1، عمان الأردن، ص: 20.

³ المرجع نفسه، ص: 19.

⁴ يوسف أبو العدوس مدخل إلى البلاغة ، ط/1، سنة: 2007، عمان، الأردن ، ص: 21.

بين اللفظ المستعار والمعنى الذي أعيرت له، وضرب لذلك أمثلة من القرآن الكريم¹ و" الوساطة بين المتبني
وخصومه" للقااضي علي بن عبد العزيز الجرحاني ، وغيرهما².

¹ المرجع نفسه، ص: 21.

² علي عشري زائد، ص: 72.

المرحلة الثالثة: مرحلة الاستقرار *

يرصد مؤلف الكتاب في حديثه عن هذه المرحلة، أنه مع الامتداد الزمني الذي تمر به جملة من التحولات، حتى وصلت البلاغة إلى نوع من الاكمال الذي سوف يحقق لها نوعاً ليس بالقليل من الاستقرار، مع وجوب ملاحظة أن مسألة نضجها المثالي يظل طبعاً بعيد المنال، ويعرف دارس البلاغة أن الأمر في تطور مستمر قد ينتابه بعض الجمود، غير أنه يبقى يظل مطلب الدارسين، ومعلوم أنه في كل عصر و في مناطق متعددة تبقى البلاغة تفيد من كثير من الجديد الذي تعرفه مختلف العلوم اللغوية والنقدية، وتقاطعات التثاقف الحاصل بين الأمم سيما من خلال الترجمة والبعثات العلمية، والتفاعل الذي يظهر من خلال النشر، وبواسطة الندوات والملتقيات، وغيرها في الأنشطة وجملة القول أن البلاغة العربية تستمد حياتها من حياة العربية نفسها، وما يحدث لها في تطور في الدلالة، أو المضمون، وما وفد عليها من تيارات حضارية استجابت لها وتأثرت بها¹.

ويرى أنه عين التاريخ لبداية مرحلة الاستقرار هذه بابن المعتز، وهذا الرأي له من يؤيده، بل هو رأي رائج وذلك ما يؤيده أحمد بن مصطفى المراغي حين يقرر " لكننا نعلم أن أول من دون البديع هو الخليفة عبد الله ابن المعتز بن المتوكل العباسي المتوفى سنة 292هـ فقد استقصى ما في الشعر من المحسنات وألف كتاباً سماه (البديع) ذكر فيه سبعة عشر نوعاً منها الاستعارة والكناية والتورية والتجنيس والسجع، إلى غير ذلك ... ومن البين أن اسم البديع بهذا الاطلاق يتناول ما سماه المتأخرون بعلم البيان، ثم ألف معاصره قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي المتوفى سنة: 310هـ، كتاباً في نقد الشعر سماه (نقد قدامة) ذكر فيه ثلاثة عشر نوعاً من البديع زيادة على ما أملاه ابن المعتز فتممها ثلاثين نوعاً²

* علي عشري زائد، البلاغة العربية، ص: 108 وما بعدها

¹ السيد أحمد خليل، البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، سنة: 1969، ص: 7/6.

² أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ط/3، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، سنة: 1993، ص: 7.

يقول ابن المعتز: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وكلام الصحابة والأعراب"¹، ويقول: "وما جمع فنون البديع، ولا سبقني إليه أحد، وألفته سنة أربع وسبعين ومائتين"²، وفي سياق البحث التاريخي لتطور البلاغة وبروز المصطلح الخاص بها يصبح ابن المعتز نقطة مرجعية عند عديد الدارسين بما يشير إلى أسبقيته في وضع مشروع البلاغة المستقل ففي دراسة عن أبي هلال العسكري الذي يظهر بعد ذلك يسجل صاحبها: "ذكر أن فنون البديع خمسة وثلاثون فناً، وأنه زاد على ما أورده السابقون ستة فنون والتقى بعبد الله بن المعتز في عشرة فنون...."³.

فكان حقاً ابن المعتز بداية التأليف المستقل لقضايا البلاغة: فكان بذلك أول من أفرده بدراسة مستقلة"⁴ ثم يورد صاحبها هذه الملاحظة التي تفيد مراد ابن المعتز من لفظة البديع، هذه الملاحظة التي تركز التطور التاريخي للمصطلح البلاغي، وهي ذات أهمية "وليس لكلمة البديع التي جاءت في عنوان الكتاب صلة بما سماه البلاغيون في العصور المتأخرة (علم البديع)"⁵

ف " البديع في هذه المرحلة وإن لم يأخذ مدلوله الدقيق الذي حصره في المحسنات اللفظية والمعنوية فإنه كان يستخدم بمدلول محدد يشمل الصور البلاغية من (استعارة) و(تشبيه) و (جناس) و (طباق) أي أنه يشمل بعض الصور التي اندرجت فيما بعد تحت علم البيان"⁶، ومثل هذا الخلط لا يعيب البدايات في كل العلوم فضلاً عن يؤثر ذلك في بداية المباحث البلاغية والعلوم لا تبدأ مكتملة بل هي تتكامل وتتماهى بإطراد وتستقل بعد نضجها وصلابة عودها"⁷.

¹ أبو العباس عبد الله ابن محمد المعتز بالله، (296هـ)، البديع، دار الجيل، ط/1، سنة: 1990، ص: 73.

² المصدر نفسه، ص: 152.

³ حسن بن إسماعيل بن حسن الجناي، من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القاهر الجرجاني، مركز النخب العلمية، 1981، ص: 157.

⁴ محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، علوم البلاغة، المؤسسة الحديثية للكتاب، ط/1، طرابلس، لبنان، سنة: 2003، ص: 55.

⁵ المرجع نفسه، ص: 57.

⁶ علي عشري زائد ص: 104.

⁷ محمد أحمد قاسم، محيي الدين ديب، علوم البلاغة، ص: 57.

ظلت الجهود تبذل من أجل مشروع بلاغي متكامل بمفرداته ومنهجه الواضح المستقل، وقد خاض هذه التجربة رجالات كثر عرفوا بقدرات بحثية متميزة، لقد عرضنا بعض أسمائهم، وربما نصير إلى نماذج عنهم هي التي تستوعب هذا المشهد، منهم:

1- أبو هلال العسكري - الصناعتين

معلوم أنه يريد الكتابة والشعر، ومعلوم أيضا أنه يفصح على مدى أهمية حضور العنصر البلاغي في مثل هذه الصناعات علما أن مفهوم الصناعة ههنا عام ويفيد إتقان الشيء وإجادته، ذلك أن البلاغة تؤمّن أسباب الجمال وأن المراد بالجمال في أقوى صورته يصنع ذلك الذي التأثير، ويبني قيم شدّ المتلقين، حيث لا فارق بين النصوص الشعرية منها والنثرية، نعم تلك نظرته للمسألة، يقول: "أن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ بعد المعرفة بالله جلّ ثناؤه - علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي به اعجاز كتاب الله تعالى... المدلول به على صدق الرسالة"¹، ثم يرى أن التقصير في الإمساك بعناصر البلاغة يفوت على المرء امتيازات كثر جميعها ذات صلة باتقان الصناعة التي أشار إليها في العنوان، يقول: "وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل علم البلاغة، وأخلّ بمعرفة الفصاحة لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصّه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما شحنه به من الإيجاز البديع والاختصار اللطيف وضمّنه من الحلاوة، وجلله من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها..."² وما أحسب المصطلح البلاغي يتوه عن صلة هذه المفردات بالتأسيس الفعلي للمصطلح البلاغي ذي الطبيعة التطبيقية العملية، وربما كان اللافت توجيه الخطاب للإنسان عامة وليس لمحترف الأدب شعرا ونثرا فقط، وتلك مسألة ربما احتاجت منها إلى وقفة مستقلة.

¹ أبو هلال العسكري (395)، الصناعتين، تحقيق: علي محمد الجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، سنة: 1419هـ، بيروت، لبنان ، ص:1.

² المصدر السابق، ص : 1.

نعم يعتبر العسكري من بين أهم من كرس الوعي البلاغة، ليس من حيث البعد الوظيفي الذي رأينا، إنما من حيث التأسيس للمرجو من الفعل البلاغي في عالم التواصل و في حديثه الموالي يجلى القيمة الحقيقية لذلك: " البلاغة كل ما تبّلع به المعنى قلب السامع فتمكّنه منه في نفسه كتمكّنه في نفسك، مع صورة مقبولة ومعرض حسن، وإنما جعلنا حسن المعرض وقبول الصورة شرطاً في البلاغة، لأن الكلام إذا كانت عبارته رثة ومعرضه خلقاً لم يسم بليغاً وإن كان مفهوم المعنى، مكشوف المغزى"¹.

لقد آثرت إطالة الاقتباس لتحقيق غاية مهمة، هي الكشف عن الوعي العام المنطوق بالعملية الإبداعية، حيث يعتبر الرجل أنها منوطة بما يتيح التحكم في عناصر البلاغة، وفي حسن توظيفها، فالأمر ليس متوقفاً على الإفهام إنما يتجاوز ذلك إلى صناعة الدهشة بها يحقق للنص جمالية، و التي بدورها تحقق التأثير وشدّ الانتباه ثم لا شك بعد ذلك في حصول المأمول منه.

وكان في المباحث التي خاض فيها² على سبيل المثال: وإضافة إلى موضوع الإبانة عن البلاغة من حيث الموضوع، نذكر: تميز الكلام، صناعة الكلام، البيان عن حسن السبك، الإيجاز والاطناب، القول في التشبيه، السجع والإزدواج، شرح البديع، مقاطع الكلام، ومبادئه.

¹ المصدر السابق، ص: 10.

² ينظر يوسف أبو العروس، المدخل إلى البلاغة العربية ص: 33.

2_ سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي (466هـ)

لعله من المفيد بداية الإشارة إلى ضبط الغاية من الكتاب كما حددها ابن سنان نفسه، يقول: فإنني رأيت الناس مختلفين في مائة الفصاحة وحقيقتها أودعت كتابي هذا الطرفاً من شأنها وجملة من بيانها و قربت ذلك على الناظر وأوضحته للمتأمل"¹.

ثم يؤكد الفائدة المرجوة من حديثه عن الفصاحة في زخم المعرفة البلاغية إذ جوهر ذلك تحقيق التواصل المنتج للتفاعل إن في كتابه مستوى النثر أو الشعر، أي الجمالية باعتبارها كفاءة حيث يتحقق التكامل بين عناصر البلاغة، ثم يقدم وعياً بالصياغة والأساليب، يتمثل في اجتناب التعرر، ومحاولة الظهور الزائف حين اعتماد بعض المفردات الغريبة الصعبة بمظهر الفصيح يقول: " إن كانت الفصاحة عندك بالألفاظ التي يتعذر فهمها فقد عدلت عن الأصل أولاً في المقصود بالفصاحة التي هي البيان والظهور"² وذلك لأن " الفصاحة تنبئ عن اختيار الكلمة وحسنها وطلاوتها، ولها من هذه الأمور صفة نقص فيجب إطراحها"³

ويستمر حال البلاغة في تطور مع توسع في الموضوعات وعمق في هذه المرحلة الأمر الذي لا نستطيع بسطه في مثل البحث، لينتهي بنا المسار عند نقطة تحول فارقة، هي تلك التي نجدها مع الإمام عبد القاهر الجرجاني.

¹ ابن سنان الخفاجي الحلبي (466) سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1982، ص : 13.

² المصدر نفسه، ص: 71.

³ المصدر نفسه، ص: 84.

عبد القاهر الجرجاني نقطة تحول في تاريخ البلاغة:

ذلك أن الرجل قد توفرت له تراكمات معرفية وعملية من ممارسات مع اللغة في عمومها، وخاصة ما تعلق منها بمباحث إعجاز القرآن الكريم، فكان أن انتهى به ذلك إلى الكشف عن نظريته التي عدت من بين أهم الموضوعات التي ظهرت في التراث النقدي والبلاغي العربي، وفيها أظهر رسوخ قدم، سيما والرجل قد أحسس ذلك على دراية تامة بمفردات النحو العربي، الذي قرأه قراءة عميقة وجمالية الأمر الذي رفع البلاغة إلى مستويات راقية حينما جنبها التكلف وجعلها معيارا للجمالية، وأن النص إنما يكتسب مشروعيته وجدارته حين يحسن الانفعال مع لغته " فعلى الرغم من أن عبد القاهر لم يخرج عن جرجان في طلب العلم، أرسل الله إليه أبا الحسين هذا، وكان قد أخذ العلم عن خاله الشيخ أبي علي الفارسي صاحب كتاب (الايضاح) في النحو... فقد رأينا عبد القاهر يعنى بهذا الكتاب عناية بالغة، ويضع عليه شرحا كبيرا يبلغ زهاء ثلاثين مجلدا، ويسمى شرحه: (المُغني)¹.

لقد أوردنا هذا الشاهد لنسجل إبتداء القاعدة اللغوية الصلبة التي سوف يظهر أثرها في جميع ما أنتج، خاصة في كتابه (دلائل الإعجاز) ولا سيما منه ما تعلق بعلم المعاني الذي يشكل لب نظرية النظم التي تكاد تختزل هذا العلم كله.

تتجلى صدقيّة هذه الملاحظات بوضوح عند يحيى بن حمزة العلوي حين يذكر : وأول من أسس من هذا العلم قواعده، وأوضح براهينه وأظهر فوائده، ورقب أفانينه الشيخ العالم النحير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني، فلقد فك قيد الغرائب بالتقييد وهّد من سور المشكلات بالتنوير المشيد، فتح أزهاره من أكامها، وفتق أزواره بعد استغلاقتها واستبهاهما، فجراه الله عن الإسلام أفضل الجزاء"².

¹ أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، وجهوده في البلاغة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر، ص: 6.

² يحيى بن حمزة العلوي 745هـ، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، الناشر: المكتبة العصرية، ط1، سنة: 1423، بيروت لبنان، ص: 6/1.

وفي هذا الشاهد تركنا أحد أبرز علماء البلاغة الذي ظهر بعد تمام نضج مباحث البلاغة العربية ألا وهو يحيى بن حمزة العلوي يقرر هذه الحقيقة التاريخية المتمثلة في الاعتراف للإمام عبد القاهر بالأسبقية في التأسيس لعلم البلاغة، ولو تتبعنا مثل هذا الإطار في حق عبد القاهر لوجدنا الأمر يمتد منذ بروزه إلى يوم الناس هذا، ولعل فيما نقلناه ما يفي بالحاجة في هذا المقام، من الحديث عن النضج الذي وصلت إليه البلاغة، وأن من جاء بعده يظل يقتبس منه، "وله من المصنفات فيه كتابان: أحدهما لقبه (بدلائل الإعجاز) والآخر لقبه: (بأسرار البلاغة)"¹، لقد كانت أهم محاور الكتاب الأول: "بيان الحاجة إلى علم النحو، وفضل علم البيان والفصاحة والبلاغة، وإعجاز القرآن، ونظم الكلام، والكناية والاستعارة، ودقة النظم، والأخذ والسرقة عند الشعراء، ووصف الشعراء بالبلاغة..."². أما الثاني فمن مباحثه: "الاستعارة والتطبيق، والتشبيه المعقول بالمعقول، والفرق بين التشبيه والتمثيل، وسبب قبح الكلام المعقد، قلب التشبيه، والاستعارة والمبالغة في التشبيه، والحقيقة والمجاز، والمجاز العقلي والمجاز اللغوي منه الاستعارة..."³.

وتظهر بعد ذلك مجموعة من المؤلفات التي لها كبير الارتباط بما صنعه عبد القاهر الجرجاني منها: تفسير الكشاف الزمخشري (538هـ) الذي يظهر من خلاله حضور الجرجاني في كتابه "الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل" واضحا، فقد عمد الرجل إلى كشف عناصر الجمال في التعبير القرآني من خلال مباحث منها: "الفصل والوصل، والكناية وأنواعها، والاستعارة وأنواعها والتشبيه والتمثيل، والمجاز المرسل، والتقديم والتأخير، والحذف....

¹ المصدر نفسه، ص: 6/1

² مدخل إلى البلاغة، ص: 37.

³ المرجع نفسه، ص: 36.

يقول: عبده عبد العزيز قلقيلة: " نقرر أن الزمخشري _ فيما نعلم - هو أول من فصل فصلا تاما بين علمي المعاني والبيان"¹ مستندا على ما ذكره الزمخشري في مقدمة تفسيره بخصوص المقاييس الواجب توفرها في المفسّر، يقول الزمخشري: "ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق إلا رجل برع في علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعاني وعلم البيان، وتمهل في ارتيادهما آونة..."²، ومنها أيضا كتاب نهاية الإيجاز ودراية الإعجاز، لفخر الدين الرازي (606هـ)، وعن الرازي في هذا الكتاب بما صنفه عبد القاهر الجرجاني في كتابيه .. تحاول ترتيبه، وتهذيبه على صورة تنضبط فيها القواعد البلاغية وتتنحصر فروعها وأقسامها حصرا دقيقاً"³.

4- أبو يعقوب السكاكي وكتابه - مفتاح العلوم -

ولكشف الصلة بين السكاكي والإمام عبد القاهر نورد هذه الملاحظة التي ذكرها مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، قال: "وما على الناس من اصطلاح أتى به عبد القاهر واقتناه السكاكي"⁴ والرجل ذاته أحصى خلقاً كثيراً من العلماء الذين قاموا بشرح كتاب مفتاح العلوم أو تلخيصه، وهي بالقدر الذي لا يستطيع المرء إدراجها في هذه العجالة، ولمن طلب ذلك وجده في كتابه: كشف الظنون"⁵. وهو يتيح لنا صدقية القول بهاته الصلة التاريخية في بحث قضايا البلاغة، والرابط واضح العلاقة بين السكاكي وعبد القاهر، والذي سبقته الإشارة إلى اعتباره نقطة تحول جادة كان لها ما بعدها، غير أن هذه الصلة لا تعني بأي حال من الأحوال النقل المباشر بل ثمة خصوصية جليلة نجدها عند السكاكي والأمر لا يعتبر استنتاجاً إنما هي حقيقة يقرأها هو ذاته، وفيما يقول إشارة واضحة لطبيعته ومنهجه.

¹ عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، 1/ط3، سنة: 1992، القاهرة، مصر، ص: 18.

² أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (538) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط/3، سنة: 1408هـ، ص: 2/1.

³ المرجع نفسه، ص: 38.

⁴ مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث: بيروت، لبنان، سنة: 1941، ص: 1472/2.

⁵ كشف الظنون ، ص: 210/1 وما بعدها .

يقول السكاكي: " قبل أن نمنح هذه الفنون حقها في الذكر، ننبهك على أصل، لتكون على ذكر منه، وهو: أن ليس من الواجب في صناعة وإن كان المرجع في أصولها وتقاريعها إلى مجرد العقل، أن يكون الدخيل فيها كالناشيء عليها، في استفاضة الذوق منها"¹

والمسجل في هذه الإفادة مسعى السكاكي في الكشف عن مسألة جوهرية من مسائل المنهج، ألا وهي كما هو بين مسألة التأصيل القائمة على التفريق بين الأصل من جهة، والفروع في ناحية أخرى، ثم في حديثه على ضرورة اعتماد العقل حقيقة كما يمكن الإفادة من الذوق ولعل السكاكي في اعتماده المنطق في تعقيد قضايا علوم اللغة، والتي منها البلاغة ظل يبشر بآلية الذوق وما لها من أهمية في البلاغة، يقول: " فإن ملاك الأمر في علم المعاني هو الذوق السليم والطبع المستقيم، فمن لم يرزقها فعليه بعلوم آخر، وإلا لم يحظ بطائل مما تقدم وما تأخر:

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أيرتاب والصبح مسفر²

وربما كان وضوح المنهج المتبع هو جعل الناس تتلقاه هذا التلقي الحسن، سيما من حيث التعقيد، والضبط وفي مثل هذا قال السبكي: "كان القسم الثالث من مفتاح العلوم الذي صنّفه الفاضل العلامة أبو يعقوب السكاكي أعظم ما صنّف فيه من الكتب المشهورة نفعاً، لكونه أحسنها ترتيباً وأمنها تحريراً، وأكثرها للأصول جميعاً"³.

ورأى كثير من الدارسين أن صرامة المنهج الذي اتبعه، والمنطق الذي سار عليه، في تناول مفردات البلاغة قد انعكس على هذا العلم بصورة أفقد المصطلح البلاغي الكثير في حيويته، وصار يفتقر للجانب الجمالي،

¹ مفتاح العلوم، ص: 168.

² أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط/2، سنة: 1987، بيروت لبنان، ص: 301.

³ أحمد بن علي السبكي، عروس الافراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط/1، بيروت، لبنان سنة: 2003، ص: 48/1.

وبات أقرب إلى القواعد العلمية الصارمة، " أصبحت البلاغة عند السكاكي منظبطة في قوانين وقواعد ذات قوالب منطقية وتجردت من التحليلات الفنية الذوقية ومالت إلى المعيارية"¹.

وربما ختمنا حديثنا عن مرحلة الاستقرار، بالحديث عن تمام استقرار تقسيم البلاغة إلى علوم ثلاثة، الأمر الذي يمكن من الفرز بينها يقول أحد الدارسين يظهر أن أول من جعل هذه المسائل علما مستقلا بدر الدين بن مالك في مصباحه حيث قسم البلاغة إلى ثلاثة فنون هي المعاني، والبيان، والبديع، وهذا هو ما استقر عليه الأمر إلى يومنا هذا².

و في ذلك نجد بدر الدين بن مالك يقول متحدثا عن كتابه المصباح " جعلت هذا الكتاب ثلاثة أقسام:

فالأول: يعرف منه الاحتراز في الإفادة لتمام المراد من المعنى عن الخطأ في كيفية التركيب، وفي دلالة المركب على قيد من قيودها وهو علم المعاني.

والثاني: يعرف منه احتراز على الخطأ في التركيب مما دلالاته غير وافية بتمام المراد من وضوح الدلالة أو اخفائها ، وهو علم البيان.

والثالث: تعرف منه توابع البلاغة من طرف الفصاحة وهو علم البديع³

ثم يسعى إلى بسط الكلام في هذه الأقسام التي نحاول أن تقدم بعضا من ملاحظاته في هذا الشأن.

¹ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة العربية، ص:39.

² فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها ، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط / 11 سنة : : 2007 عمان، الأردن، ص: 276.

³ بدر الدين بن مالك : المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، حققه احسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب القاهرة، مصر سنة 1989 ص 5/4.

علم المعاني:

يذكر أنه : تتبع خواص تراكيب الكلام وقيود دلالاته ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما تقتضي الحال ذكره ... فإن مقامات الكلام متفاوتة، فمقام الشكر والتهنئة والمدح والترغيب والجد وابتداء الكلام يباين مقام الشكاية والتعزية والذم والترهيب والهزل، وبناء الكلام على السؤال، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي ولكل من ذلك مقتضى يخصه، ولكل كلمة مع صاحبها مقام ... بحسب مصادفة الكلام المقام لما يليق به، وعدمها، وهو ما سميناه الحال¹...

علم البيان:

إيراد المعنى بهذه الطرق بالدلالات الوضعية غيره ممكن وإنما يمكن بالدلالات العقلية والدلالات العقلية ثلاث: دلالة الشيء علي جزائه، ودلالة الملزوم على اللازم، ودلالة اللازم المساوي على الملزوم، ويعتبر في اللزوم أن يكون مما يثبت العقل ، أو اعتقاد المخاطب لعرف أو غيره ، وكذا في المساواة، وإقامة اللازم المساوي مقام الملزوم على وجه لا ينافي الحقيقة كناية، وإقامة ما سواه مقام متعلقه مجازاً . وهو أقسام منها²، ثم يفصل بدقة في قضايا التشبيه، والاستعارة وهكذا، وقضايا المجاز عموماً.

علم البديع:

يركز بدر الدين في هذا القسم عن الفصاحة ومتطلباتها، ثم يبين المراد منها، وهي عنده نوعان :

الفصاحة المعنوية: " خلو الكلام عن التعسف والتعقيد بحيث يكون طريقه إلى المعنى واضحة على وفق

مقتضى الظاهر ... ولم تخف مسلك المعنى حتى لا يدري من أين إليه يتوصل³.

¹ المصدر نفسه، ص 7.

² بدر الدين بن مالك ، المصباح ، ص: 105/104

³ المصدر نفسه ص: 159.

المحاضرة الثانية:

الفصاحة:

كان لا بد من الوقوف على موضوع الفصاحة، ذلك أن الحديث عنها ضمن التطور التاريخي للبلاغة عامة، ذلك أنه من البلاغيين القدامى من طابق بين البلاغة والفصاحة وأن إهمال الحديث عنها كان سوف يفوت على الطالب فرصة ضبط هذه المعطيات، وهو بدون شك في حاجة ماسة إليها، حين قيامه بعملية تقييم النصوص الإبداعية، علما أن هذه الوقفة سوف تكون موجزة مع تسجيلنا أن جميع المراجع تعتمد التعريفات نفسها، وهي في مجموعها تراثية، كما نقدم بين يدي ذلك ذات الشواهد، وربما في ذلك سهولة التعامل مع المادة، في حدود حاجة الطالب، وما يكن أن يفيد في العملية التعليمية البيداغوجية.

وقد رأيت انطلاقا من هذه المقدمة: التبسيط وتجذب الاختلاف ، ربما خاضه الطالب في ما يستقبله في

مساره العلمي.

الفصاحة لغة:

الفصاحة الظهور والبيان ومنها فصح اللين إذا انجلت رغوته وفصح فهو فصيح قال الشاعر: وتحت الرغوة اللين الفصيح، ويقال أفصح الصبح إذا بدا ضوءه وأفصح كل شيء إذا وضح وفي الكتاب العزيز: " وأخي هارون أفصح مني لسانا فأرسله معي " القصص: الآية 34.

الفصاحة اصطلاحاً¹:

هي عبارة عن ألفاظ البينة الظاهرة، المتبادرة إلى الفهم والمأنوسة الاستعمال بين الكتاب والشعراء لمكان حسنها، فهي تتعلق بأمور.

أولاً فصاحة الكلمة: اشترط علماء البلاغة لفصاحة الكلمة جملة من الاعتبارات هي:

1_ تنافر الحروف، وهو نوعان:

_ تنافر شديد، كلفظ (الهعخع)، وهو نبات ترعاه الإبل.

وكقول الراجز الذي يأسى لأخيه حرب وقد دفن وحده في صحراء بعيدة

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

_ تنافر خفيف، كلفظ (مستشزرات) في قول امرئ القيس

غدائره مستشزرات إلى العلا تضل العقاص في مثنى و مرسل.

معنى مستشزرات : مرتفعات أو مرفوعات، يقول إن شعر هذه المرأة كثيف حتى تضل الأمشاط فيه وتغيب كثافه وطوله وقد اعتنت به وجعلته زينة لها فمنه المفتول المعقود في ضفائر (مثنى) ومنه المرسل على ظهرها والمعقود المفتول منه ما ارتفع إلى أعلى وهذا هو معنى (مستشزرات)، يقول ابن الأثير: "لفظة (مستشزرات) مما يقبح استعمالها، لأنها تثقل على اللسان ويشق النطق بها"².

¹ ينظر يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة، دار المسيرة، ط1، سنة: 2007، عمان الأردن، ص: 44 وما بعدها.
² ضياء الدين بن الأثير (637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة مصر، ص: 205/1.

وعد الدارسون من ذلك قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه أمدحه والورى
معي وإذا ما لمته لمته وحدي

ثم يسجل أبو العدوس: أن ضابط معرفة النثر والصعوبة هو الذوق السليم، فما عدة الذوق السليم ثقيلًا متعسر النطق، فهو متنافر سواء أكان متقارب الحروف أو تباعدها، وسواء أطالت حروف أم قصرت.

2 - مخالفة الوضع:

ومعناه أن تكون الكلمة مضافة لما ثبت من الوضع، سواء أكانت مخالفة للقياس الصرفي أم لا، فمدار المخالفة على ما ثبت عن الوضع. ومن هنا لم يخرج عن الفصاحة ما ثبت استعماله لدى العرب مخالفًا للقياس ولكنه فصيح

ثم يمثل لذلك بما يلي: لفظ (الأجل) في قول أبي النجم:

الحمد لله العلي الأجل
الواهب الفضل الكريم المُجزل

فهو غير فصيح، لأنه مخالف لما ثبت عن الوضع، وللقياس الصرفي، وإذا الوارد عن الواضع (الأجل) بالإدغام، لا بالفك، والقياس الصرفي يقتضي إدغام المثليين.

ومن ذلك لفظ (بوقات) في قول المتنبي يمدح سيف الدولة:

فإن يك بعض الناس سيفاً لدولة
ففي الناس بوقات لها وطبول

القياس الصرفي يقتضي جمعه على أبواق، لأن جمع المؤنث السالم له مواضع خاصة ليس هذا الاسم منها.

3- غرابة الاستعمال¹ :

وهي أن تكون الكلمة حوشية وحشية أو غير ظاهرة الدلالة على معناها فيحتاج في فهمها:

أن يبحث عنه في الكتب اللغوية المطولة من ذلك ما روى عن أبي علقمة من قوله: «ما لكم تكأ كأتهم علي كتأكنكم على ذي جنة؟ افرنقوا وحشي وقد جمع لعمرى العلتين مع قبح التأليف الذي يمجس السمع والتوعر وما أكثر ما تجتمع في هذا الجنس»²، أي مالكم تجمعت علي كتجمعكم على مجنون؟ تتحوا عني، وثمة أمثلة ونماذج كثيرة تتكرر في جميع كتب البلاغة، يمكن الوقوف عليها.

4- الكراهة في السمع:

وهي مسألة ذوقية وربما صارلها لسبب أو آخر رد فعل نفسية باستثارتها المشاعر غير المحببة، أو تحيل عليها لذلك ذكروا " هي أن تمجها الأسماع وتأنف منها الطباع لوحشيتها وغلظتها كالجرشي، بمعنى النفس..."³. ومثلوا لذلك بقول المتنبي:

مبارك الاسم أعزُّ اللقب كريم الجرش شريف النسب

فإن هذه الكلمة فهي وإن كانت عربية إلا أنها ثقيلة تنبو عنها الأسماع، كما تنبو عن سماع الأصوات المنكرة⁴

¹ عبده عبد العزيز فلقيلة ، البلاغة الاصطلاحية ، ص : 23 وما بعدها.

² ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 67.

³ أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة ، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، ص: 20.

⁴ أبو عبد الله فيصل بن عبده، تسهيل البلاغة، دار الإيمان، سنة: 2006، الاسكندرية مصر، ص: 13.

ثانيا فصاحة الكلام :

يراد بالكلام هنا ما يشمل المركب التام والناقص، وفصاحته تكون بسلامته من كل ما ينغلق به معناه وينبهم مغزاة، وإلا كان مردودا خارجا عن حدود البلاغة، ورسوم الفصاحة ولو احتوى على أجل المعاني وأشرفها، وإنما يتم له ذلك إذا عرى عن الأشياء الآتية¹:

(1) تنافر الكلمات مجتمعة.

(2) ضعف التأليف.

(3) التعقيد بنوعيه اللفظي والمعنوي.

يسجل بعد ذلك عبد العزيز خلفية هذه الملاحظة تم يعمد إلى التمثيل لها، يقول: "لنبه إلى أن براءة الكلام من هذه العيوب مشروطة بسلامة أجزائه - وهي كلماته المفردة - من العيوب الثلاثة المتقدمة في فصاحة الكلمة"². أما بالنسبة للتمثيل فيورد مايلي وهي كما أشرت نماذج تطبيقية تستعملها مختلف مراجع البلاغة، لذلك لم نشأ أن ننوع الأخذ بسيط للمسألة.

1- تنافر الكلمات:

وهو وصف يعرض للكلمات مجتمعة فيوجب ثقلها واضطراب اللسان عند النطق بها، وقد علم بالاسقراء أن منشأه إما: تكرير حرف أو حرفين من كلمة في المنثور أو المنظوم وهو قسمان:

أ - التنافر الشديد مثل :

وليس قرب قبر حرب قبر

وقبر حرب مكان قفر

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص: 25 وما بعدها

² عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، ص: 25.

الشرط الثاني كلماته متنافر أشد التنافر حتى إن اللسان، لا يكاد يلفظ بهافي مجتمعة.

حرب هو حرب بن أمية بن عبد الشمس ولشدة الثقل فيه زعموا أنه من شعر الجن قالوه لما قتلوه بثأر

حية ودفنوه بناحية بعيدة

ب - التنافر الخفيف: كقول أبي تمام في المدح:

كريم متى أمدحه والورى
معي وإذا ما لمته لمته وحدي

والشاهد فيه قوله: أمدحه ، أمدحه.

2- ضعف التأليف: وهو أن يكون في التركيب العام للكلام خروج على القوانين النحوية

التي ارتضاها جمهور النحاة، كالإضمار قبل ذكر المرجع في قولنا : (قتل أسره الأسير، فإن الضمير

في أسره راجع إلى الأسير، وهو الأسير) متأخر لفظاً ورتبة.

يورد حبنكة الميداني أمثلة على ما فيه ضعف التأليف¹:

- عود الضمير على متأخر لفظاً ورتبة، بينما الأصل أن يعود الضمير على متقدم في اللفظ والرتبة.
- استعمال الضمير المنفصل مع إمكان استعمال الضمير المتصل، واستعمال الضمير المتصل في حال وجوب استعمال الضمير المنفصل.
- نصب الفعل المضارع أو جزمه بدون ناصب أو جازم .
- تقديم غير الأعراف في الجملة الاسمية على الأعراف.
- تقديم المعمول على عامله مع عدم جواز ذلك، أو مع عدم وجود مقتضى له بلاغياً.
- مجيء الضمير المتصل بعد أداة الاستثناء إلاّ.

¹ عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص: 121/1 وما بعدها.

- أمثلة: قول حسان بن ثابت يرثي مطعم بن عدي أحد رؤساء المشركين، وكان يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم:

ولو أنّ مجدا أخذ الدهر واحداً من الناس أبقى مجده الدهر مُطْعِماً

فأعاد الضميره في (مَجْدُهُ) على متأخر لفظاً ورتبة وهو (مُطْعِماً) على خلاف قانون التأليف المتبع المشهور في العربية وهذا من العيوب المخلة بالفصاحة.

والمعنى لو أن مجدا مهما كان عظيماً جعل من يتصف به يخلد طوال الدهر، لكان مجد مطعم بن عدي جعله خالداً

- قول زياد بن معمر التميمي :

وما أَصَاحِبُ مِنْ قَوْمٍ فَأَذْكَرُهُمْ إِلا يَزِيدُهُمْ حَباً إِليَّ هُمْ

أي: وما أَصَاحِبُ من قوم بعد قومي فأذكر لهم قومي إلا بالغوا في الثناء عليهم حتى يزيد وهم حبا إليّ، فلم يأت بالضمير المتصل الذي هو "واو" الجماعة في: (يزيدونهم) بل فصله (وجاء به ضميراً منفصلاً في آخر البيت، لضرورة الشعر، وهو لفظ (هم) وهذا من العيوب المخلة بالفصاحة

- قول الفرزدق :

يا لباعث الوارث الأموات قد ضمنت إياهم الأرض في دهر الدهارير

فجاء بالضمير المنفصل (إياهم) مع إمكان مجيء الضمير المتصل لضرورة الشعر، وهذا من العيوب المخلة بالفصاحة.

والمعنى: أحلف بالله الباعث الوارث الأموات قد ضمنتمهم، أي: احتوتهم الأرض في دهر الدهارير، دهر الدهارير: أي سالف الأزمان ، كلمة (دهارير) تأتي بمعنى أول الدهارير في الزمان الماضي، لا واحد لها من لفظها.

- قول أبي الطيب المتنبى :

خلت البلاد من الغزاة لئليها فأعاضهاك الله كي لا تحزنا

الغزاة: الشمس.

يقول المتنبى لممدوحه: خلّت البلاد من الشمس في وقت ليها، فجعلك الله لها عوضا عن الشمس، لكيلا تحزن البلاد على فراق ضوء الشمس قال النحاة: إذا اجتمع ضمير المخاطب والغائب فالواجب تقديم ضمير المخاطب على ضمير الغائب، وهذا ما نص عليه سيبويه، وكان على المتنبى أن يقول: فأعاضكها بدل أعاضهاك ولكن ضرورة الشعر ألجأته إلى ما قال بيد أن محمد بن يزيد المبرد يجيز ما فعل المتنبى.

3- التعقيد: وهو أن يكون الكلام خفي الدلالة على المعنى لخلل واقع في نظمه وتركيبه

بحيث لا يكون ترتيب المعاني بسبب تقديم أو تأخير، أو فصل أو حذف أو نحو ذلك مما يترتب عليه صعوبة فهم المراد.

وهو على ضربين : شديد و خفيف.

أ- الشديد: كما في قول الفرزدق يمدح إبراهيم بن هشام بن اسماعيل المخزومي خال هشام بن عبد الملك

أحد الخلفاء بني أمية:

وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حيُّ أبوه يقاربه

يقول أبو العدوس في الإبانة عن معنى البيت: " ليس في النَّاسِ مثل إبراهيم أحد أحد يشبهه في الفضائل والمكارم إلا ابن أخته الخليفة فترتيب النَّظْمِ في البيت مختل، لأن أصل الكلام: " وما مثله في النَّاسِ حي يقاربه إلا مملكاً أبو أمه أبوه " ولكن الفرزدق قدم المستثنى (مملكا) على المستثنى منه (حي) نمعى (أحد) ومثل هذا التقديم لا يجيزه النحاة، وفصل بين (مثل وحي) وهما مبدل منه وبديل، وفصل بين المبتدأ والخبر وهما (أبو أمه أبوه) ب (حي) وبين الصفة والموصوف وهما (حي يقاربه) ب (أبوه) ومن ثم ضعف النَّظْمِ فتعد اللفظ، وخفي المراد، وخرج البيت عند دائرة الفصيح¹.

و يقول عبد اللطيف حماسة بشأن هذا البيت بما يفيد صدقيّة هذه الملاحظة، ويكشف بصورة كيف يتسرب التعقيد إلى الكلام، " ألت ترى معي أن المعاني قد تزاخمت في ذهن الفرزدق، فتزاخمت الألفاظ فاختلط بعضها ببعض، بينما الشاعر في شغل عنها، وقد تملكته العاطفة، وسيطرت عليه الفكرة فلم يعبأ بنظام الكلمات على النحو المألوف"²، ثم يستأنف حديثه ضمن هذا السياق ليلفت الانتباه إلى ضرورة الحرص على أن الغاية النهائية للابلاغ هي الانتهاء بالمعنى إلى قلب المتلقي وأن محاولة التلاعب بالألفاظ قد تحول دون بلوغ هذه الغاية، يقول: أن ازدحام الألفاظ وتملك العاطفة وغير ذلك لا يصبح ذا قيمة مالم يصل المعنى إلى سمع المتلقي وذهنه في صورة تسمح بالفهم وتعين عليه³.

لقد حرصت على هذه الوقفة، وهذا التوضيح للأسف لما صرنا إليه من لغة استعمل في الشعر كما في النشر، وتستعمل في المكتوب كما في الشفهي، فيها كثير من التقعر يذهب بالمعنى خلال البحث عن الإبهار والبهرجة.

¹ يوسف أبو العدوس ، المدخل إلى البلاغة ، ص : 46

² محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، سنة: 1996، بيروت ، لبنان، ص 292.

³ المرجع نفسه، ص 292.

وفي هذا المقام وجب لفت الانتباه إلى تحذير تراثي من مغبة الوقوع في التعقيد طلب لتجنب مثل المآلات التي رأينا، يقول الجاحظ نقلاً عن بشر بن المعتمر، صاحب الصحيفة المشهورة والتي عدت من إرهاصات بداية التنظير للبلاغة: "واياك والتوعر، فإن التوعر يسلمك إلى التعقيد، والتعقيد هو الذي يستهلك معانيك"¹

ب - الخفيف: " وهو خفيف النقل كالشطر الأول في قول أبي تمام:

كريم متى أمدحه وأمدحه والورى معي وإذا ما لمته لمته وحدي " ²

ثالثاً فصاحة المتكلم:

وتنقل كتب البلاغة، أنه لكي يكون المتكلم فصيحاً وجب أن تتوفر فيه اعتبارات جمة لها علاقة قوية بكل متعلقات اللغة، " حتى يكون ملماً باللغة العربية، عالماً بقواعد نحوها وصرفها، واسع الاطلاع على مفرداتها ومعانيها الدقيقة، كثير النظر في كتب الأدب - له دراية بأساليب العرب في شعرهم ونثرهم وأمثالهم وكناياهم، ومجازاتهم، حافظاً لطائفة جمة من عيون كلام فصحاءهم...."³.

إلى هذه المواصفات يلح البلاغيون على الجوانب الحسية المتعلقة بالامكانيات الصوتية والشعورية، لعلم أن قضايا المعرفة، لا تمكن المتكلم من إنجاز لغة مسموعة قوية إلا بتوفر مزيد من الشروط " التعبير عن مقصوده بكلام فصيح، دون تلغثم، ولا تلكؤ، فما شاء من معنى استطاع التعبير عند بيسر وسهولة"⁴.

وفي موروثنا البلاغي ما يؤكد ذلك، بل يدل على الأسبقية في التفطن لهذه المسائل لمدى الأثر في البيان والتبيين: " واللغة في الرأ تكون بالعين والذال والياء، الغين أقلها قبجا..."⁵.

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 129/1.

² أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ص: 32.

³ عبد الرحمن حسن جنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، دار العلم، ط/1، سنة: 1996، دمشق، سورية، ص: 127.

⁴ المرجع نفسه، ص: 127.

⁵ ابو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 37/1.

ولمن أراد التوسع في مباحث الأسباب التي تحول دون فصاحة المتكلم، وجد ذلك في فصل أعدّه الجاحظ

تحت مسمى باب عيوب البيان¹.

وربما لمثل هذه الاعتبارات يذكر أبو هلال العسكري " قال بعض علمائنا: الفصاحة تمام آلة البيان"²

وحديث الآلة كما ورد في هذا الاقتباس يدل بوضوح على جملة من الصفات الخُلُقِيَّة المتعلقة بمسائل الصوت،

والنطق عامة.

¹ الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 27/1.

² أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395) الصنائع، تحقيق: علي الجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، سنة: 1419، بيروت، لبنان، ص: 7.

المحاضرة الثالثة:

الأسلوب الخبري والأسلوب الإنشائي:

1- الخبر:

- من مقتضياته: قبل الحديث عن الأسلوب الخبري، وجب لفت الانتباه إلى أنه يقع ضمن مفردات علم المعاني مصاحباً لمصطلحات أخرى سوف نعرف بعضاً منها وهو يعني¹ (أي الأسلوب الخبري): أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي تكون بها مطابقاً لمقتضى الحال - الحال هو الأمر الداعي للمتكلم إلى إيراد خصوصية في الكلام، وتلك الخصوصية هي مقتضى الحال - بحيث يكون وفق القرض الذي سيق إلىه.

فذكاء المخاطب: حال تقتضى إيجاز القول، فإذا أوجزت في خطابه كان كلامك مطابقاً لمقتضى الحال، وغباوته حال تقتضي الإطناب والإطالة فإذا جاء كلامك في مخاطبته مطنبا: فهو مطابق المقتضى الحال، ويكون كلامك في الحالين بليغا ولو أنك عكست لا نتقت من كلامك صفة البلاغة.

- موضوعه: اللفظ العربي من حيث إفادته المعاني الثواني التي هي الأعراض المقصودة للمتكلم، من جعل السلام مشتملاً على تلك اللطائف والخصوصيات التي بها يطابق مقتضى الحال.

- فائدته:

1/ معرفة إعجاز القرآن الكريم، من جهة ما خصه الله به من جودة السبك و حسن الوصف، وبراعة التراكيب...
2/ الوقوف على أسرار البلاغة والفصاحة: في منثور كلام العرب ومنظومه كي يحتذى حذوه، وتتسج على منواله، وتفرق بين جيد الكلام و رديئه.

¹ ابراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 47 وما بعدها.

- واضعه: الشيخ عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة : 471 هـ .
- استمداده: من الكتاب الشريف وأكديث النبوي ، وكلام العرب.
- من أبوابه: تقسيم الكلام إلى الخبر والانشاء .

2- تعريف الخبر في البلاغة: كلام يحتمل الصدق والكذب، والمراد بصدق الخبر مطابقته للواقع. والمراد بكذبه عدم مطابقته له، فجملة: العلم نافع، إن كانت نسبته الكلامية (وهي أثبتت النفع) مطابقة للنسبة الخارجية أي موافقة لما في الخارج والواقع (فصدق) وإلا (فكذب) نحو الجهل نافع فنسبته الكلامية ليست مطابقة وموافقة للنسبة الخارجية.

3- أغراض توجيه الخبر:

الأصل في توجيه الكلام يتضمن خبرا ما يكون الغرض منه الإعلام بالخبر الذي دلّ عليه الكلام، أي إفادة المخاطب الحكم الذي تضمنته الجملة أو الجمل.

ويسمى هذا عند العلم علماء البلاغة فائدة الخبر .

وقد يراد من توجيه الكلام الذي يتضمن خبرا أما إعلام المخاطب بأن المتكلم عالم بالحكم الذي تتضمنه الجملة الخبرية، ولا بد عندئذ من أن يكون المخاطب عالما به.

ويسمى هذا عند علماء البلاغة لازم الفائدة.

وقد يخرج الخبر عن الغرضين السابقين (لازم الفائدة، وفائدة الخبر) إلى أغراض أخرى تستفاد من السياق العام للكلام وقد تظهرها القرائن المصاحبة - منها ما نوردته كتب البلاغة:

1. تحريك الهمة إلى ما يلزم تحصيله كقوله تعالى: "للذين أحسنوا الحسنى وزيادة" يونس 26.

2. الاسترحام والاستعطاف كقول أبي نواس:

إن كان لا يرجوك إلا محسن
فبمن يلوذ ويستجير المجرم
أدعوك رب كما أمرت تضرعاً
فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم

3. إظهار الضعف والخشوع، كقوله:

إلهي عبدك العاصي أتك
مقراً بالذنوب وقد دعاكا

4. إظهار التفجع والتحسر كقوله:

ذهب الشباب فما له من عودة
وأتى المشيب فأين منه المهرب

5. التوبيخ:

أنت التي أخلفتني ما وعدتني
وأشمت بي من كان فيك يلوم

6. إظهار الفرح والسرور بمقبل والشماتة بمدبر

نحو قوله تعالى: " وجاء الحق وزهق الباطل " الإسراء، 81

7. التحذير، نحو: " أبغض الحلال إلى الله الطلاق "

8. المدح، كقول النابغة

فإنك شمس والملوك كواكب
إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

ملاحظة: وقد يخرج الخبر إلى أغراض أخرى تقوم معرفتها على التدبر وفهم المقصود مع مرافقة الذوق

والإحساس.

4 - أضرب الخبر¹:

مادام الخبر يحتمل الصدق والكذب، فقد راعى البلاغيون حالات المخاطب الذي نقصده ، فكان

- إما خالي الذهن من هذا الخبر وليس لديه سابق معرفه عنه.

- إما أن يكون متردداً بين القبول أو الرفض.

- وإما أن يكون مذكر لهذا الخبر، قوة أو ضعفاً.

فأما الأول: فلا يحتاج إلى توكيد، لأنه لا فكرة لديه عن الموضوع فيتلقاه بالقبول.

أما الثاني المتردد: فهو يطلب ما يجعله يطمئن، فنلقي إليه الخبر مؤكداً بمؤكدٍ واحد فقط.

أما الثالث المنكر: فنحتاج لإخباره إلى أكثر من مؤكد بحسب قوة إنكاره.

لهذا ذكر البلاغيون للخبر أضرب ثلاثة:

الأول: الابتدائي: وهو ما يلقي إلى خالي الذهن من الحكم كقولنا: نجح محمد، وإنما سمي هذا الضرب

ابتدائياً، لأنه يلقي إلى المخاطب ابتداء دون سابق علم للمخاطب به.

الثاني: الطلبي: وهو ما يلقي إلى المتردد في قبول الخبر ورفضه، وهذا الضرب يحسن تقويته بمؤكد واحد،

كقولك إن محمداً ناجح.....، وإنما سمي هذا الضرب طلبياً، لأن المخاطب به طالب لنوع من التوكيد يزيل به

تردده.

¹ ينظر: حسن بن إسماعيل الجانحي، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبدیع، المكتبة الأزهرية، القاهرة، مصر، سنة: 2006، ص: 91، وما بعدها.

والتالث: الإنكارى: وهو ما يلقي إلى المنكر للخبر والرافض لقبوله، وهذا الضرب يجب توكيده بحسب قوة

الإنكار وضعفه مثل: " إن محمداً ناجح، فإذا زاد في أفكاره قلت له: والله إن محمداً لناجح..."

المحاضرة الرابعة:

1- الإنشاء¹:

الإنشاء لغة: الإيجاد

الإنشاء اصطلاحاً: كلام لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته، وينقسم الإنشاء إلى نوعين:

1. إنشاء طلبي: وهو الذي يستدعي مطلوباً غير حاصل في اعتقاد المتكلم وقت الطلب، وأنواعه خمسة:

الأمر، والنهي، والاستفهام، والتمني، والنداء.

وثمة مباحث خمسة:

1- الأمر: وهو طلب حصول الفعل من المخاطب على وجه الاستعلاء مع الإلزام وله أربع صيغ:

- فعل الأمر كقوله تعالى: " يا يحيى خذ الكتاب بقوة " مريم 12

- والمضارع المجزوم بلام الأمر، كقوله تعالى: " لينفق ذو سعة من سعته " الطلاق 7.

- اسم فعل الأمر، كقوله تعالى: " عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم " المائدة 105.

- المصدر النائب على فعل الأمر، نحو: سعيًا في سبيل الخير.

ملاحظة: قد تخرج صيغ الأمر عن معناها الأصلي وهو (الإيجاب والالتزام) إلى معان أخرى تستفاد من

سياق الكلام والقرائن.

- الدعاء: في قوله تعالى: " رب أوزعني أن أشكر نعمتك " الأحقاف 15.

¹ أحمد بن مصطفى الهاشمي جواهر البلاغة، ص: 69 وما بعدها.

- الالتماس: كقولك لمن يساويك أعطني القلم.

- التهديد: كقوله تعالى: " اعملوا ما شئتم، إنه بما تعملون بصير " فصلت 40.

- التعجيز: كقوله تعالى: " فأتوا بسورة من مثله " البقرة 23.

- التسوية: كقوله تعالى: " اصبروا أو لا تصبروا " الطور 16.

ملاحظة: وهناك مزيد من الأغراض كثيرة ومتنوعة يعول على إدراكها على فطنة المتلقي وذوقه.

2- النهي: النهي طلب الكف عن الشيء على وجه الاستعلاء مع الإلزام وله صيغة واحدة، وهي المضارع

المقرون بلا الناهية، كقوله تعالى: " ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها " الأعراف 56، ولا تجسسوا

ولا يغترب بعضكم بعضاً " الحجرات 12.

ملاحظة: قد تخرج هذه الصيغة عن أصل معناها إلى معانٍ آخر تستفاد من سياق الكلام وقرائن الأحوال.

- الدعاء، مثل: قوله تعالى: " ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا " البقرة 286

- الالتماس، كقولك لمن يساويك، أيها الأخ لا تتوان.

- الإرشاد، كقوله تعالى: " لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم " المائدة 101

ملاحظة: وهناك أغراض أخرى متنوعة يمكن رصدها.

3- الاستفهام: وهو طلب العلم بشيء لم يكن معلوماً من قبل وذلك بأداة من إحدى أدواته الآتية، وهي:

الهمزة وهل، وما، ومتى، وأيان، وكيف، وأين، وأنى، وكم، وأي.

ملاحظة: وتخرج في الاستعمال إلى جملة من الأغراض منها:

- الأمر: كقول الله تعالى: " فهل أنتم منتهون " المائدة 91، أي انتهوا.
- النهي: كقول الله تعالى: " أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه " التوبة 13.
- التشويق: كقول الله تعالى " هل أدلكم على تجارة تتجركم من عذاب أليم " الصف 10.

ملاحظة: وهناك مزيد من الأغراض التي تستفاد من الاستفهام عند الخروج عن مقتضى الظاهر، كالانكار،

الاستناس، النفي، التقرير...

4- التمني: التمني هو طلب الشيء المحبوب الذي لا يرجى ولا يتوقع حصوله، للتمني أربع أدوات واحدة

أصلية وهي ليت وثلاث غير أصلية نائبة عنها، ويتمنى بها لغرض بلاغي، وهي : هل، لو، لعل.

أمثلة:

- طلب أمر محبوب لا يرجى حصوله إما لاستحالته، كقول الشاعر:

ليت الكواكب تدنو لي فأنظمها عقود مدح فما أرضى لكم كلمي

لأنه ممكن لكنه بعيد الحصول، كقوله تعالى: " يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون إنه لذو حظ عظيم" القصص 79.

- فإن كان قريب الوجود مضموعا في حصوله كان ترجيا يعبر فيه:

- ب لعل كما في قوله تعالى: " لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا" الطلاق 1.

- ب عسى كما في قول الشاعر: عسى الله أن يجري المودة بيننا ويوصل حبلا منكم بحباليا

- لو: كقوله تعالى: " فلو أن كرة فنكون من المؤمنين" الشعراء 102.

- هل: كقوله تعالى: " فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا" الأعراف 53.

ملاحظة: من الأغراض البلاغية المستفادة من أسلوب التمني جعل المتمنى بحيث يبدو في حالة المرجو

حصوله، أو جعل المطلوب في صورة تقربه من المستحيل حتى لا يطمع فيه، وذلك للإيغال في إبرازه بعيد المنال.

5- النداء¹: طلب المتكلم إقبال المخاطب عليه بحرف نائب مناب (أنادي) المنقول من الخبر إلى الانشاء

ومن أدواته هي: الهمزة، أي، ياء، وأيا، هيا، واو.

وهي في كيفية الاستعمال نوعان:

- الهمزة وأي لنداء القريب.

- وباقي الأدوات لنداء البعيد.

قد ينزل البعيد منزلة القريب فينادى بالهمزة وأي، إشارة إلى أنه لشدة استحضاره في ذهن المتكلم صار كالحاضر معه لا يغيب عن القلب، كأنه ماثل أمام العين، كقول الشاعر:

أَسْكَانَ نَعْمَانَ الْأَرَاكِ تَيَقَّنُوا بِأَنْكُمْ فِي رِبْعِ قَلْبِي سَكَانُ

وقد ينزل القريب منزلة البعيد فينادى بأدواته:

للتببيه على أن السامع لاه غافل فيعتبره كأنه غير حاضر كقول البارودي:

يا أيها السادر المُرُورُ من صَلَفٍ مهلاً فإنك بالأيام منخدع.

¹ مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، المكتبة الأزهرية، ط1، سنة: 1926، القاهرة، مصر، ص: 69.

2 - الانشاء غير الطلبي: وهو ما لا يستدعي مطلوباً، وله صيغ كثيرة منها: التّعجب، والمدح، الذم، القسم، وأفعال

الرجاء، وصيغ العقود .

صيغته:

- المدح بـ (نعم، حبذا)

- الذم بـ (بئس ، لا حبذا)

- التّعجب، بصيغتيه القياسيتين:

- ما أفعل: نحو قول الشاعر:

ما أكثر الإخوان حين تعدهم
ولكنهم في النائبات قليل.

- أفعل به: نحو قول الشاعر:

أكرم بقوم رسول الله قائدهم
إذا تفرقت الأهواء والشيع.

- الصيغ السماعية، وهي تفهم من سياق العبارة ، مثل:

- كفى بالشيب وقاراً.

- لله درّه فارساً.

- قاتله الله.

- سبحان الله.

قال تعالى: " قال ربّ أنى يكون لي غلام وكانت امرتي عاقرا وقد بلغت من عتيا " مريم 8.

ملاحظة: وفي العموم نسلج أن الانشاء الطلبي أكثر حضورا في الاستعمال البلاغي، وقد "عدّ البلاغيون الإنشاء

غير الطلبي خارجا عن مباحث علم المعاني لأن أكثر صيغه في الأصل أخبار نقلت إلى الإنشاء"¹

- الرجاء: وأفعاله: عسى، حرى، أخلق، وعسى أكثرها استعمالا

- القسم: ويكون بالواو: (والله)، أو بالباء (بالله)، أو بالتاء (تالله).

ويكون أيضا بصيغ سماعية: مثل لعمرك ما فعلت.

ومنه قول أبي العتاهية:

لعمرك ما الدنيا بدار بقاء كفاك بدار الموت دار فناء.

- العقود: تكون بصيغة الماضي على العموم نحو: بعت، اشتريت.

¹ محمد أحمد قاسم محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبنان، ط/1، سنة: 2003، ص: 311.

المحاضرة الخامسة:

التقديم والتأخير:

يذكر عبد القاهر في دلائل الإعجاز عن التقديم والتأخير ما يحسن أن نقدم به لهذا الموضوع، يقول: "هو باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية... ولا تزال ترى شعرا يروكك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تتظر فتجد سبب أن راقك ولطف عنه، أقدم فيه شيء، وحول اللفظ عن مكان إلى مكان"¹.

ربما في هذا التقديم ما يكفي للدلالة على بلاغة وإبلاغية هذه الظاهرة، وهي تغني عن تكثيف المادة في هذا المجال، ونورد ما تعلق بهذا الخصوص مجملا مختصرا.

لكل عنصر من عناصر التركيب في الجملة العربية موقع، وهي تنقسم إلى قسمين:

الجملة الفعلية: والأصل فيه تقديم المسند وهو الفعل، وتأخير المستند إليه، وهو الفاعل أو ما ينوب عليه.

الجملة الاسمية: الأصل فيها تقديم المسند إليه وهو المبتدأ وما يتصل به، وتأخير المسند وهو الخبر وما

يتصل به، وبعد ذلك تأتي متعلقات الخبر.

ملاحظة: "غير أنه قد يعرض من الاعتبارات ما يقضي بتقديم ما حقه التأخير فيخرج الكلام إذ ذاك عن

ترتيبه الطبيعي ليؤدي الغرض الذي منه أريد"².

¹ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر - مطبعة المدني، ط/3، سنة: 1992، القاهرة، مصر، ص: 106.

² مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، من: 81

من هذه الأعراض: ما يفيد زيادة في المعنى وتحسينا في اللفظ ، كقوله تعالى: " إلى ربك يومئذ المساق"
القيامة 30، بعد قوله تعالى "والتفت الساق بالساق" القيامة 29، فتقديم الجار أفاد الاختصاص، وأن لا مساق إلا
إليه، مع حسن في الصياغة، وتناسق في السجع، ومنها¹:

يقدم المسند على المسند إليه، والمسند كما هو معروف حقه التأخير، ولكنه يقدم إذا اقتضى الحال تقديمه،
فمن مقتضيات تقديم المسند :

1- تخصيصه بالمسند إليه، كقوله تعالى: " فله الحمد رب السماوات والأرض رب العالمين" الجاثية 36،

فتقديم المسند قصد منه التخصيص، فإذا قلت: لله الحمد فمعنى هذه أنه لله وحده، لا لأحد غيره.

2- التنبيه على الخبرية، كقوله تعالى: " ولكم في القصاص حياة" البقرة 179، والخبر أقوى من الصفة في

دلالاته، لأن الخبر ركن في الجملة، وليس كذلك الصفة، فإذا جعلنا الشيء خبراً، فهو أدل على شأنه
وخطره، أكثر من كونه صفة من الصفات.

3- التشويق للمتأخر، إذا كان في المتقدم ما يشوق لذكره، كقول محمد بن وهب يمدح المعتصم:

ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

إذ الأصل: الشمس والقمر وأبو إسحاق ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها.....

4- التفاؤل: كقول الشاعر: سعدت بغرة وجهك الأيام وتزينت بلقائك الأعوام

5- المساءة: نكاية بالمخاطب، كقول المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى عدوا له ما من صداقته بدُّ.

¹ يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة، ص: 98.

تقديم المسند إليه: يقدم المسند إليه لأغراض بلاغية أهمها:

1. أنه الأصل ولا مقتضى للعدول عنه، كتقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر.

2. أن يتمكن الخبر في ذهن السامع، لأن في المبتدأ تشويقاً إليه، كقول المعري:

والذي حارت البرية فيه حيوان مستحدث من جماد.

فالمسند إليه: الاسم الموصول وهو (الذي)، والجملة التي بعده صلة له (حارت البرية فيه) والموصول

وصلته مثلاً زمان، والمخاطب يتشوق لمعرفة المسند، ذلك لأن المسند إليه غريبة، ما الذي حارت البرية فيه؟

فيجيء الخبر متأخراً: (حيوان مستحدث من جماد).

3. أن يقصد تعجيل المسرة إن كان في ذكر المسند إليه تهاؤلاً، مثل: (العفو عنك صدر به الأمر).

4. أن يقصد تعجيل المساءة إن كان في ذكر المسند إليه ما يتطير به، مثل: (السفاح في دار صديقك).

5. إفادة العموم، مثل كل إنسان لم يقم، فيقدم ليفيد نفي القيام عن كل واحد من الناس.

6. إيهام التلذذ بذكره، كقول الشاعر:

بالله يا طيبات القاع قلن لنا ليلاي منكن أم ليلى من البشر.

المحاضرة السادسة:

الفصل والوصل:

قال عبد القاهر الجرجاني عن هذا الباب: " اعلم أن العلم بما ينبغي أن يصنع في الجمل من عطف بعضها على بعض، أو ترك العطف فيها والمجيء بها منثورة، تستأنف واحدة منها بعد أخرى من أسرار البلاغة... وقد بلغ الأمر في ذلك أنهم جعلوه حداً للبلاغة..."¹.

يقول أحد المعاصرين: "وأعظم مَعْلَمٍ لمحاسن الفصل والوصل بين الجمل كتاب الله ثم أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم"².

- الوصل: يراد به الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف.

- الفصل: يراد به عدم الربط بين أجزاء الكلام بحرف عطف.

ملاحظة: "لكنهم قصرُوا الكلام على الواو في هذا الباب، لأنها هي التي تخفي الحاجة إليهما، والعطف بها أو تركه، هو المحتاج إلى لطف في الفهم، ودقة في الإدراك.... أما غيرها فيفيد مع التشريك معاني أخرى، (فالفاء) توجب الترتيب بلا تراخ، و (ثم) توجب الترتيب والتراخي،... وكذلك باقي الحروف"³

1 – وصل الجمل: يجب الوصل في ثلاثة مواضع:

¹ عبد القاهر، دلائل الإعجاز، ص: 222.

² عبد الرحمن بن حسن حبنكة الميداني، ص: 37/1.

³ مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، ص: 99.

أ- أن يكون بين الجملتين كمال الانقطاع مع الإبهام، وذلك بأن تكون إحداها خبرية والأخرى إنشائية، ولكن لو فصل بينهما لأوهم الفصل خلاف المقصود، نحو: (لا ، وبارك الله فيك) تجيب بذلك على من قال: هل لك حاجة أساعدك في قضائها؟

فلا في هذا الموضوع قائمة مقام جملة خبرية، إذا التقدير: (لأحاجة لي) وجملة: (بارك الله فيك) جملة إنشائية معنى لفظاً، والعبرة بالمعنى.

ولو فصلت بين الجملتين فقلت: (لا بارك الله فيك) لتوهم السامع أنك تدعو عليه على حين أنك تقصد الدعاء له، ولهذا وجب الوصل وعدل عن الوصل.

ب - أن تكون الجملتان ملعقتين خبراً أو إنشائية، لفظاً ومعنى فقط، وكان ما بينهما تام في المعنى، وليس هناك سبب يقتضي الفصل بينهما.

- فمثال الخبريتين لفظاً ومعنى قوله تعالى: " إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفَجَارَ لَفِي جَحِيمٍ " (الإنفطار 14/13)

- ومثال الانشائيتين لفظاً ومعنى قوله تعالى: " فلذلك فادع واستقم كما أمرت " (الشورى 15)

- ومثال المتفتقتين خبراً معنى فقط قوله تعالى: "إني أشهدُ الله واشهدوا أنني بريء مما تشركون" (هود 54)

أي: أنني أشهد الله وأشهدكم، فتكون الجملة الأولى وهي: (أشهدُ الله) خبرية لفظاً ومعنى، إنشائية لفظاً ومعنى، والجملة الثانية: (واشهدوا) خبرية معنى، إنشائية لفظاً.

ج - أن يكون للجملة الأولى محل من الإعراب وقصد إشراك الجملة الثانية لها الحكم الإعرابي، ولا مانع من هذا الإشراك، مثل قول أبي العلاء:

وحب العيش أعبد كل حر وعلم ساغبا أكل المرار

جملة: (أعبد كل حر) لها محل من الإعراب، لأنها خير للمبتدأ قبلها وقصد القائل إشراك جملة (علم ساغبا أكل المرار) لها في هذا الحكم الإعرابي ولا مانع من ذلك.

2 - مواضع الفصل:

أولا كمال الاتصال: أن يكون بين الجملتين اتحاد تام وامتزاج معنوي و مواضعه:

أ. أن تكون الثانية توكيدا للأولى كقوله تعالى: "ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم" (يوسف 31) جملة: (إن هذا إلا ملك كريم) توكيد الجملة: (ما هذا بشرا) لأن إثبات كونه ملكا توكيد لنفي كونه بشرا.

ب. أن تكون الثانية بدلا من الأولى، كقوله تعالى: "أمدكم بما تعملون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون" (الأنعام 132/134) فالثانية بدل بعض من الأولى.

ج. أن تكون الثانية بيانا للأولى، كقوله: "يسومونكم سوء العذاب يذبحون أبناءكم"، فجملة الثانية بيان للأولى.

ثانيا كمال الانقطاع: أي يكون بين الجملتين تباين تام بدون إيهام خلاف المراد.

مواضعه:

أ. تختلف الجملتان خيرا وإنشاء لفظاً ومعنى، كقوله تعالى: "وأقسطوا إن الله يحب المقسطين" أو معنى فقط كقول الشاعر:

جزى الله الشدائد كل خير عرفت بها عدوي من صديقي.

فصلت الثانية لاختلافهما خيرا وإنشاء، إذ الأولى إنشاء معنوي.

ب. أن تتحدا خيراً وإنشاء ولكن لا رابط بينهما كقولك: محمد شاعر وعلي قصير، إذ لا مناسبة بين شاعرية محمد وقصر علي.

ثالثاً شبه كمال الاتصال: أن تكون الجملة الثانية جواباً لسؤال نشأ عن الأولى، فتفصل عنها كما يفصل الجواب عن السؤال.

كقوله تعالى: " وما أبرئ نفسي إن النفس الأمانة بالسوء " فصلت الجملة الثانية لوقوعها جواباً عن سؤال مقدر كأنه قيل هل النفس أمانة بالسوء.

رابعاً شبه كمال الانقطاع: أن تسبق جملة بجملتين تكون مناسبة للأولى منهما ولا مانع من عطفها عليها ولا يصح عطفها على الثانية لفساد المعنى، فلو وصلت لتوهم عطفها على الثانية فيمتنع العطف دفعا لهذا التوهم، مثل قول الشاعر:

يقولون إني أحمل الضيم عندهم أعوذ بربي أن يضام نظيري

فجملة أعوذ بربي يصح عطفها على جملة يقولون لأنها من مقوله، لكن يمنع منه توهم عطفها على جملة أحمل، فتكون من مقولهم وذلك فساد .

خامساً التوسط بين الكمالين: أن تكون الجملتان متناسبتين ولكن يمنع من العطف عدم قصد التشريك في الحكم، كقوله تعالى: " وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون ألا أنهم هم المفسدون " فجملة ألا إنهم لا يصح عطفها ما قبلها لأنها إخبار لهم من الله تعالى بأنهم على تلك الصفة وما قبلها حكاية عنهم.

المحاضرة السابعة:

أولا الحقيقة والمجاز

1- الحقيقة لغة: ما أقر في الاستعمال على أصل وضعه فيما تعني إذا المعنى الأصلي المتعارف عليه في المعجمات وفي أصل الاستعمال، الحقيقة الكلمة المستعملة، فيها وضعت له في اصطلاح به التخاطب¹.

2- الحقيقة اصطلاحاً: هو الشيء الثابت قطعاً و يقيناً، يقال: حق الشيء، إذا ثبت، وهو اسم للشيء المستقر في محله، فإذا أطلق يراد به ذات الشيء الذي وضعه واضع اللغة في الأصل، كاسم الأسد للبهيمة، وهو ما كان قارا في محله وفي غير محله².

3- المجاز لغة: مصدر ميمي بمعنى الجواز والتعدية، من جاز المكان يجوزه ، إذا تعدها، أو بمعنى مكان الجواز والتعدية، من قولهم: جعلت هذا مجازاً إلى حاجتي أي طريقاً لها.

4- المجاز اصطلاحاً: هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة بين المعنى الأول والثاني مع قرينة مانعة من إرادته المعنى الأول³.

ويكون استخدام أبي عبيدة لأول مرة لفظ المجاز وألف كتابه المجاز القرآن سنة : 188هـ ، كشف فيه عن معاني الألفاظ في سياقها من القرآن الكريم⁴.

¹ الامام الخطيب القزويني (739) الايضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح : محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/6، سنة 1985، ص: 392/1 هـ

² الشريف الجرجاني (816) كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمية ط 1 سنة 1983 بيروت، لبنان - ص 90

³ حسن بن عبد الرزاق الجناحي البلاغة الصافية، ص 328

⁴ محمد أحمد قاسم ، محي الدين ديب ، علوم البلاغة ، ص : 15.

5- أقسام الحقيقة¹:

أ- **الحقيقة اللغوية**: في كل لفظ استعمل في معناه الذي وضع له في الأصل لدى الجماعة اللغوية العامة. ويندرج في هذا القسم ألفاظ اللغة المستعملة بدلالاتها الوضعية نحو كلمة (الأسد) مراداً بها السبع المعروف، أو كلمة القمر مراداً بها الكوكب المعروف.

ب- **الحقيقة العرفية**: هي كل كلمة استعملت في معنى جديد حددته لها جماعة لغوية ما، وتراعى في المعنى الجديد علاقته يوماً بالمعنى الأصلي لكلمة - مثال ذلك لفظ (السكون)، فهو عند النحويين يدل على عدم وجود الحركة على الحرف، ويدل في اللغة على انعدام حركة الشيء.

1- **الحقيقة العرفية العامة**: إذا لم يكن المتصرف في دلالة الكلمة جماعة خاصة، من أهل العلوم وأصحاب الحرف أو أهل الفنون أو غيرهم من الجماعات الخاصة، فالكلمة المتغيرة الدلالة تعتبر من باب الحقائق العرفية العامة، مثال ذلك، كلمة (دابة) فهي تدل في أصل وضعها اللغوي على كل ما يدبب يسعى على الأرض.

2- **الحقيقة العرفية الخاصة**: هي الكلمة التي تصرفت في دلالتها جماعة خاصة من أهل العلم أو الحرف أو الفنون أو غيرهم، ويدرج في هذا القسم كل المصطلحات العلمية والفنية والحرفية كمصطلحات الرفع والنصب، والجرة والفاعل، والظرف ... وغير ذلك من المصطلحات النحوية.

ج- **الحقيقة الشرعية**: هي الكلمة التي كانت في الجاهلية تستعمل في معاني معينة ثم لما جاء الإسلام استعملت في معاني جديدة لها ارتباط بمعانيها اللغوية الأصلية. والمتصرف في ذلك دلالة الكلمة هنا هو الشارع لا الجماعة اللغوية كما هو الشأن بالنسبة للحقائق العرفية، مثال ذلك كلمة الصلاة التي كانت في الجاهلية تطلق على الدعاء ثم صارت في الإسلام اسماً للعبادة المعروفة.

1 ينظر محمد مذبوحى، المجاز مباحثه وشواهد، دار كنوز للإنتاج للنشر والتوزيع سنة 2013 ص2 وما بعدها.

د- **الحقيقة الدينية:** هي الكلمة المتعلقة بالاعتقاد أو الطاعة لأمر الله تعالى، نحو كلمات (الايمان) و (الكفر) و (الفسق) و (النفاق) وهذا القسم أثبتته المعتزلة وخالفهم فيه الأشاعرة وجعلوها مدرجة في الحقائق الشرعية. بينما يرى المعتزلة أن هذه الأسماء نقلها الشرع من دلالتها اللغوية الأصلية إلى دلالات جديدة فلفظ (الايمان) مثلاً يدل في أصل وضعه اللغوي المجرد التصديق، لكن الشرع جعله اسماً لمن صدر منه التصديق بالقلب والإقرار باللسان واجتناب الكبائر.

وبناء عليه فإن الفاسق لا يسمى عند المعتزلة مؤمناً ولا كافراً بل هو في منزلة بين المنزلتين لأنه أدخل بركن من أركان الإيمان الثلاثة وهو ركن العمل ومعروف أن الجدل بشأن دلالة لفظ (الإيمان) في مجلس حسن البصري كان مبدأ ظهور مذهب الاعتزال، وكان لذلك النقاش ارتباط بما ظهر قبل فتن واقتتال بين المسلمين في خلافة الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجههم.

هـ- **الحقيقة الشرعية:** هي عند المعتزلة الألفاظ المتعلقة بالعبادة، و (الصلاة) و (الزكاة) و (الصوم) و (الحج) و (التيمة) و (الوضوء). بيد أن الأشاعرة رفضوا هذا التقسيم واعتبروا الجميع حقائق شرعية، ويرى المعتزلة أن الحقائق الدينية والشرعية ألفاظ نقلها الشرع من معانيها الأصلية إلى معانٍ شرعية جديدة وإن كان لها تعلق بالمعاني الأصلية، بينما يرى الأشاعرة أنها ألفاظ استعملت مجازاً في معانٍ شرعية جديدة وشاع ذلك الاستعمال فيها وغلب على استعمالها في معانيها الأصلية.

فائدتان:

1. الوضع فيما سبق من الحقائق مختلف: فهو في الحقائق اللغوية بالتعيين، وفي غيرها بغلبة الاستعمال.
2. ذكر بعضهم أن الكلمة المستعملة خطأ: نحو إطلاق لفظ (البشر) بدلاً من لفظ (الانسان) خطأ، ليست من الحقيقة ولذلك قيدت الحقيقة بالكلمة المستعملة قصداً لا خطأ.

لقد كان هذا الاقتباس على طوله مما اقتضته مسألة بحث علاقة قضايا المجاز بإمداد البلاغة العربية بعناصر لها صلة قوية بالمعطيات التي تقوم عليها دراسة، أساليب التصوير، ومباحث الدلالة وقضايا المعنى ومعنى المعنى، وهي كما يمكن أن نسجل تقع في صلب علم البيان .

ثم وجب التنبيه إلى أننا لا نبتغي الخوض في تفصيلات مسألة الموقف من المجاز بين القائلين به، وبين منكريه، لأنها فيما أحسب من خلال التعامل مع مناهج الدراسة والمفردات المقترحة لمقياس البلاغية، يستحسن تأجيلها " حتى يصل الطالب إلى مرحلة لاحقة إذ يصادفه مقياس اللغة في كتب المفسرين.

المحاضرة الثامنة:

6- المجاز في التراث:

يقول أحد الدارسين المتخصصين في هذه القضية يبين الاضطراب الحاصل فيها حين يذكر الإمام ابن تيمية بين منكري المجاز فإنه يمثل في هذا المقام قطب الدائرة، لأن من أنكر المجاز قبله لم يتحمسوا للإنكار حماسته¹....

ثم يرى هذا الباحث نفسه أن سبب ذلك دخول المجاز قبله وفي عصره، في مباحث العقيدة والتوحيد فصار التعسف في التأويل. ثم لا يلبث حتى يثبت أن رأياً قد توصل إليه بعد دراسة وجهد، يقول " قضينا أكثر ثلاث سنين نواصل الاطلاع على أعمالهما العلمية الأخرى الصحيحة بالنسبة اليهما يريد ابن تيمية وابن القيم - وخرجنا من واقع ما كتبه بأن الإمامين الجليلين مذهبا آخر في المجاز يزاحم مذهب الإنكار، وهو مذهب الإقرار مع حمل كثير من النصوص الشرعية عليه ، ثم الاحتجاج به في الدفاع عن الائمة الأعلام من رجال السلف الصالح ومؤسسى المذاهب الفقهية وأتباعهم من الفقهاء رضى الله عنهم أجمعين².

1 عبد العظيم إبراهيم محمد المطعنى ، المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار مكتبة وهبة ط 1 سنة 1995 ، ص 7
2 المرجع نفسه، ص 10.

إلى ذلك نضيف أن هناك أن هناك من يرى حضور المجاز بصورة ظاهرة "نقل عن الفارسي تلميذه أبو الفتح: أن المجاز غالب على اللغات كما ذكره عنه صاحب (ضياء اللامع) وكل ما يسميه القائلون بالمجاز فهو - عند من يقول بنفي المجاز - أسلوب من أساليب اللغة¹ بل من العلماء من يعد المجاز متيحاً لإمكانات لغوية كبيرة ولا سيما حين الحاجة إليه عندما يضيق الحال عن الحقيقة فيصير ملاذاً، يقول السيوطي "والمجاز يعدل إليه عن الحقيقة لمعان ثلاثة: وهي الاتساع والتوكيد والتشبيه فإن عدت الثلاثة تعينت الحقيقة فمن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الفرس: (هو بحر) فالمعاني الثلاثة موجودة فيه.

أما الاتساع فلأنه زاد في أسماء الفرس - التي هي فرس وطرف وجواد ونحوها ...

وأما التشبيه فلأن جريه يجري في الكثرة مجرى مائه، وأما التوكيد فلأن شبه الغرض بالجواهر، وهو أثبت في النفوس منه².

وربما لا حظنا أن ابن فارس يرى أن العرب توسعوا في استعمال المجاز، قال: "لأن العرب العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب"³ وأراد بذلك التمكين للغة العربية من الأساليب التي تسعها من التمثل الجمالي للمعاني، فتأتي بغير المألوف الذي يستدعي قدرات خاصة طلباً للفهم، لعلها ذات الغاية التي نجدها تمد دارس معاصر، ذلك حين رأى في المجاز "كثير المجاز في كلام العرب، ميلاً منهم إلى الاتساع، وشغفاً على كثرة المعاني الألفاظ وليكون أسبق إلى السمع، وأعلق بالذهن، لما به من الأريحية وما حواه من الدقة والسلامة⁴.

ولمثل هذه الكثافة من عطاءات المجاز، كانت مباحته وما قام حولها من جدل، من أهم العناصر الدافعة إلى مزيد من تعمق مستويات البلاغة، سيما فيما يتعلق بمباحث البيان وبناء الصور، وطرق إخراج المعاني وتجسيدها

1 محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإجاز آثار محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، ط/3، سنة 1441، ص:5.

2 عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (91) المزهري في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1998، بيروت، لبنان، ص: 283.

3 أحمد بن فارس (395) الصحابي في فقه اللغة، الناشر: محمد علي بيضون ط 1 سنة 1997، ص: 20.

4 مصطفى بدر زبيدة البلاغة التطبيقية، ص: 141.

في تمثيل محسوس يستطيع المتلقى الإمام بجوانبه ، وربما مثل هذه المسائل تدعو إلى حواره الوقوف على بعض من مجهود العلماء في الكشف عن مدى إبلاغية المجاز وأهمية مباحثه في تطوير المعطيات البلاغية عامة، والبيانية على وجه أخص، سيما منهم المعتزلة. لما لهم من حضور في هذا الشأن.

7- المتكلمون والبحث البلاغي:

علم الكلام:

تعريفه: يذكر ابن خلدون في المقدمة: " هو علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية والرد على المبتدعة المنحرفين عن مذاهب السلف وأهل السنة"¹.

لقد رأيت اختيار هذا التعريف لتأخر صاحبه بالقدر الذي يكون أسعفه على الاطلاع عما كتبه من سبقوه فنأخذ حصيلة ذلك، ثم لبساطة هذا التعريف ومباشرته الأمر الذي تختفي معه كثير مما يستشكل على الطالب في هذه المرحلة، وقد كان الحاجة إلى هذه البساطة أيضا خدمة للسياق الذي يبحث مدى إسهام المتكلمة في إرساخ قيم الإقناع في الخطاب، والذي سعى بصورة جلية في إثراء مكونات الفعل البلاغي، من حيث النظرية والتطبيق، تلك جميعها من المقترضات الوارد في تعريف ابن خلدون لعلم الكلام فهو قصد إلى وظيفية البلاغة عندما تحدث عن الحجاج، الأدلة، الرد، وجميع هذه المفردات هي من الجواهر الأساس الذي تقوم عليه البلاغة، وهي عين الملاحظات التي رصدها شوقي ضيف حين تكلم عن المتكلمة ملاحظا اهتمامهم بضرورة الإمساك بآليات الخطاب المقنع الذي من شأنه مرادفة الأتباع، يقول في ذلك: " وكان يعنى كل صاحب نحله فيهم أن يجمع من حوله الشباب وألا ينصرفوا إلى خصومه، فأخذوا يقفونهم على النقص في الحجج والأدلة، والنقص في الأداء والبيان كما أخذوا يقفونهم على أسرار المهارة في الإقناع والظفر بالخصوم وأسرار البراعة في القول"²

¹ عبد الرحمن بن خلدون (808هـ)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط/1، سنة: 1981، ص: 580/1.
² شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط/9، سنة: 1995، القاهرة مصر، ص: 33.

يقدم شوقي ضيف نظرة تحليلية للأسباب التي دفعت إلى رصد مؤشرات الاقناع لدى الخطباء بهدف التمكين لأرائهم إذ ليس في الامكان تحقيق النصر على الخصوم وتحويلهم عن أرائهم إلا لمن ملك أسباب فصل الخطاب، ولا يتم ذلك إلا لمن تراكت معاريفه بمستويات الخطاب، وفنونه ، والعناصر التي تقف وراء تأثيره في المتلقين، بغية جلب الأتباع ، وربما ذلك الذي لا يتوفر إلا لمن حسن إمساكه باللغة ذات التأثير وإثارة الاهتمام، يقول شوقي ضيف " كان يقابل طائفة المعلمين من النحاة واللغويين طائفة ثانية من المعلمين كانوا يعنون مسائل البيان والبلاغة - ونقصد طائفة المتكلمين الذين أخذوا ينقسمون منذ أواخر القرن الأول للهجرة فرقا _ تتجادل في نظرياتها العقيدية من إرجاء وجبر واختيار، وكانت تزخر بهم مساجد الكوفة والبصرة وبغداد بعد إنشائها"¹

ثم يواصل تحليله مبرزاً علاقة هذا الجدل بالوعي بخطورة توفر الخطيب على أسباب تحقيق التفوق مع امكانية فرض قناعاته وإبطال حجج خصمه فيقول: " إذ كان جمهور هؤلاء المعلمين يعني بوعظ الناس، وكان منهم من يحسن الخطابة والمناظرة والجدل، ومنهم من لا يوفيهما جميعاً حقوقها"².

وصار الناس يحاولون البحث في العناصر الشادة في الخطاب المحقق لقوة الحجة وما هي الصفات الواجب توفرها في الخطيب المفوه، ومن ثم كيف يكون الكلام بليغاً؟ وكيف يكون المتكلم بليغاً؟ يقول: "فكثر الحديث في قوة الحج وفي وضوح العبارة ودقتها وفي جهازة الصوت وفي ملامح المتكلم وفي ملاءمته بين كلامه والمستمعين"³

ثم يضرب شوقي ضيف مثلاً مثلاً واقعياً حين يقول: " على نحو ما نجد عند الحسن البصري المتوفى

سنة 110 للهجرة إذ نراه يدعو تلميذه عمرو بن عبيد المناظرة واصل بن عطاء في الحكم على مرتكب الكبيرة، وكان الحسن يراه مؤمناً منافقاً أو فاسقاً، وتراه الخوارج كافراً و يراه واصل بن عطاء في منزلة وسطى بين منزلتي المؤمن والكافر، واستطاع واصل أن يقنع عمراً بوجهة نظره وأن ينزعه من أستاذه"⁴ فما كان من عمرو بعد هذه المناظرة

1 المرجع نفسه، ص: 32.

2 المرجع نفسه، ص: 33.

3 المرجع نفسه، ص: 33.

4 المرجع نفسه، ص: 33.

إلا أن قال: "ما بيني و بين الحق عداوة ، والقول قولك ، فليشهد علي من حضر أني تارك المذهب الذي كنت أذهب إليه"¹

8- وظيفة البلاغة عند المتكلمين:

إن الذي يمكن أن نخلص إليه من الملاحظات السابقة، ربما نستطيع الإحاطة به من خلال البعد الوظيفي للبلاغة باعتباره الأساس في هذه المرحلة حيث " رأينا المعتزلة ينصبون أنفسهم للدفاع عن الدين أمام خصومه من أصحاب الملك والديانات الأخرى، ويتصدون لخصومهم من أصحاب الفرق الإسلامية الذين كانوا يختلفون معهم في الرأي ... إنها خصومة تتطلب الأخذ والرد، والنقاش والجدل، والظهور على الخصم، وإبطال حجته ... وذلك كله لا يؤتاه إلا امرؤ بليغ فصيح متمكن من أساليب الكلام وأفانين القول"².

فإذا الوظيفية في البلاغة كما بينا عند المتكلمة هي إتقان أفانين القول بغية بز الخصم سواء أكان من الفرق المخالفة لهم، أو لمن يعادون الدين ويرمون حوله الشبهات والأباطيل، ومهمة مثل هذه تستوجب تطوير آليات الإقناع أو ربما لا يتم ذلك إلا بتطوير أدوات الإبلاغ وشد المتلقين، الأمر الذي لا يمكن حصوله إلا عبر مقولات البلاغة ومفرداتها: أليست البلاغة في حقيقتها فن القول وحسن الكلام؟ أليس البليغ من يفهم أقدار الكلام وأقدار المتكلمين"³ ذلك أن القناعة ليست بالأمر الكافي في الجدل عند المتكلمين إن لم تعرض في "أسلوب مؤثر يبهر السامح ، ويستولي على قلبه وليه وتلك هي إحدى مهمات البلاغة"⁴.

ولطبيعة وظيفة البلاغة صار المتكلم "محمولا حملا على العناية بها، والاهتمام بقضاياها وشؤونها"⁵ ولمثل هذه الأسباب، ولمثل هذه الغايات أيضا "كان المتكلمون من أنشط الفئات في وضع قواعد البلاغة عملياً ونظرياً،

¹ الشريف المرتضى، أمانى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط/1، سنة: 1954، ص: 166.

² وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، دار الثقافة، الدوحة ، قطر ، سنة : 1985 ص : 31

³ المرجع نفسه ، ص : 31.

⁴ المرجع نفسه ، ص : 31.

⁵ المرجع السابق ، ص: 32.

فهم لم يكونوا أصحاب نظريات ومؤلفات في علم البلاغة فحسب، ولكنهم كانوا بارعين كذلك في مجال التطبيق العملي .

يقول الجاحظ "أندركم حسن الألفاظ، وحلاوة مخارج الكلام ، فإن المعنى إذا اكتسى لفظاً حسناً وأعاره البليغ مخرجاً سهلاً، ومنحه المتكلم دلاً متعشقا صار في قلبك أحلى، ولصدرك أملاء والمعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة، تحولت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها، بقدر ما زينت، وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعارض وصارت المعاني في معنى الجواري"¹.

فها هو ذا الجاحظ وهو من هو في المعتزلة يبين بكثير من الدقة الكيفية المثلى في بناء خطاب بمواصفات بلاغية تمكن من النفاذ إلى قلب المتلقي، وأن هذا الأمر لا يحصل إلا بالإمساك بمستوجبات دقيقة تتوفر في الكلام، وتتوفر أيضا في المتكلم تحقيقا لمقاصد وغايات المعتزلة التي سبقت إليها.

الإشارة في الحديث عن وظيفة البلاغة

وأكثر من هذا التنويه عند الجاحظ، حين نجده يضمن كتاب البيان والتبيين، صحيفة بشر بن المعتمر² وهو أحد أقطاب الاعتزال، وكيف أسس عمليا للكيفية التي يصبح به المرء بليغا، وتلك الصفات فقط.

يستطيع أن يكون مبلغاً له من يقتنعون بأرائه، يقول: "مر بشر بن المعتمر بإبراهيم بن جيلة بن مخزومة السكوني الخطيب، وهو يعلم فتیانهم الخطابية، فوقف بشر فظن إبراهيم أنه إنما وقف ليستفيد أو ليكون رجلا من النظارة، فقال بشر: اضربوا عما قال صفحا واطووا عنه كشحا، ثم دفع إليهم صحيفة من تحبيرة وتنميقة وكان أول ذلك الكلام خذ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فكن في ثلاث منازل، فإن أولى الثلاث أن يكون

¹ أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، دارو مكتبة الهلال. سنة : 1423 ، بيروت، لبنان، ص: 213 /1.
² يقول الذهبي شيخ المعتزلة وصاحب التصانيف كان من قدامى الكبار إخبارا شاعرا متكلما ذكيا فطنا... مات سنة 220هـ، شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط/3، سنة: 1985، ص: 103/10.

لفظك رشيقا عذبا وفخما سهلا، ويكون معنك ظاهرا مكشوفاً وقريبا معروفاً، فأنت البليغ التام، قال بشر: فلما قرأت على إبراهيم قال لي: أنا أحوج إلى هذا من هؤلاء الفتيان¹.

وإني على دراية تامة أن هذا الاقتباس لا يكفي مطلقاً عن فعل المعتزلة بالبلاغة من حيث التنظير، ومن حيث الحث على ضرورة تمكن من أسبابها لأنها الأداة التي بها يستطيعون بها المناقشة عن آراءهم.

9- ومن شيوخ المعتزلة أيضا نجد:

1- عمرو بن عبيد (80 - 144)

يأتي متقدماً زمنياً عن بشر بن المعتمر وقد كان ورعاً زاهداً، واعظاً دينياً مؤثراً حتى إنه يُبكى المنصور حينما يعظه، ونحن نلمح في تعريفه للبلاغة أثر الوعظ الديني والمرشد الإصلاحي²، قال الجاحظ في شأنه كان يقول: "لا خير في المتكلم إذا كان كلامه لمن شاهده دون نفسه، وإذا طال الكلام عرضت للمتكلم أسباب التكلف، ولا خير في شيء يأتيك به التكلف³، وهو بهذا يقدم توجيهها تقويمياً لمحترفي الجدل البلاغي، يبين فيه عن خبرة في معرفة الأساليب وضرورة تجنب الإطالة التي تدفع إلى التكلف ومنها إلى الإملال ولعله يعطي أحد النماذج عن جهد المتكلمين في الإرشاد البلاغي، وجاء في كتاب سير أعلام النبلاء أنه: "كبير المعتزلة وأولهم"⁴.

2- إبراهيم بن سيار النظام:

ومن هؤلاء المعتزلة الذين لهم أهمية خاصة إذا تعلق الأمر بطبيعة الوظيفة المستحقة للبلاغة إبراهيم بن سيار النظام، يقول فيه صاحب الفهرست يكنى: "أبا إسحاق كان متكلماً شاعراً أديباً"⁵ وقال فيه الذهبي: "شيخ

¹ أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، ص: 129/1.

² وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص: 36.

³ الجاحظ، البيان والتبيين، ص 113/1

⁴ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: 104/6

⁵ أبو الفرج محمد بن إسحاق المعروف بابن النديم (438) الفهرست / تحقيق: إبراهيم رمضان، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط 2 سنة 1997 - ص:

المعتزلة¹ "وهو من القائلين بالصرفة عند الحديث عن إعجاز القرآن الكريم رأيته المشهور الذي عرف به ونسب إليه، وهو أن القرآن معجز من جهة الصرفة"²، وفي تاريخ البلاغة كان لهذه المقولة الأثر، البارز في ردة الفعل القوية التي برهنت مستوى مباحث الإعجاز في التعبير القرآني، والتي انتهت كما هو معلوم بنظرية النظم مع إمام البلاغة عبد القاهر الذي رصد احتدام النقاش إزاء هذه الظاهرة وعمل على صياغته في شكل نظرية مكتملة ضمنها كتابه الشهير (دلائل الإعجاز) يقول محمود شاكر في مقدمة تحقيقه لهذا الكتاب: "بدا لي أن عبد القاهر كان يريد أن يؤسس بكتابه هذا علما جديداً استدركه على من سبقه من الأئمة الذين كتبوا في البلاغة وفي إعجاز القرآن"³.

3- أبو عثمان الجاحظ: أحد أهم الذين أسسوا لعلم البلاغة إذ "لا تكاد تتقدم إلى ما بعد الربع الأول من القرن الثالث حتى نجد معتزليا كبيرا هو الجاحظ يتجرد لدرس البلاغة وأمورها وسورة البيان وقضاياها المختلفة، ويخصص لذلك كتابا كبيرا هو البيان والتبيين» فضلا على ما جاء متفرقا في ثنايا كتب أخرى"⁴.

قال عنه الذهبي: "العلامة المتبحر ذو الفنون أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصري المعتزلي، صاحب التصانيف"⁵.

فالجاحظ إذا معتزلي ومهتم بقضايا البلاغة والبيان في مختلف مظهراته، وتلك النتيجة التي تم رصدها في هذا السياق، سياق الحديث عن قيم النقد والدراسة عند المعتزلة وكيف كانت إسهاماتهم في إشاعة الوعي المبكر بأهمية استيعاب المفاهيم البلاغية وتحويلها إلى إجراءات عملية تمكن لخطابهم من البلوغ إلى المتلقين، ليس في دائرة تاريخية معلومة، إنما يستمر هذا التأثير على مدى الدراسات النقدية والبلاغية التي عرفها مسار التراث وإلى

¹ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ص: 541/10

² وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص 46

³ محمود محمد شاكر مقدمة كتاب دلال الإعجاز ص 3.

⁴ وليد قصاب التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، ص 61.

⁵ الذهبي سير أعلام النبلاء، ص: 256/11.

يوم الناس هذا " فإن جمهور نقادنا قدامى و محدثين يجمعون على الاعتراف بالتلمذة على يدى الجاحظ و يوردون له الكثير من الشواهد والأراء في كتبهم النقدية والبلاغية على مر العصور"¹ .

وإن شئنا تأكيد مزية الجاحظ في هذا الاتجاه البلاغي المرتبط بقوة الاداء الجدلي نظرنا في كتابه البيان والتبيين إذ يقول بشأن البلاغة: حدثني صديق لي قال: " قلت العتابي: ما البلاغة ؟ قال : كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو البليغ، فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة، ويفوق كل خطيب، فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق، قال : قلت له: قد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، يا هذا، يا هيه واسمع مني واستمع إلي، وأفهم عني، أو لست تفهم، أو لست تعقل، فهذا كله وما أشبهه عي وفساد"².

فالذي نستطيع الخلوص اليه في سياق بحثنا هذا هو نقل الجاحظ مفاهيم البلاغة وآلياتها وفقا لمقتضى المسعى الخطابي، الذي بررنا به ابتداء، مسألة الكشف عن أحباب القول المقبول، و تسهيل الوصول إليه. وها هو ذا ينقل بعد ذلك عن بعضهم قوله: " لا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يسابق معناه لفظه، ولفظه معناه: فلا يكون النظر إلى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك"³ .

بل يضيف في موقع آخر إعطاء القدوة في مجال الخطابة، وأن ذلك الأمر مرتبط بالإمام بمتطلبات البلاغة " ولم أجد في خطب السلف الطيب والأعراب الأقحاح ألفاظاً مسخوطة ولا معاني مدخولة ، ولا طبعاً رديئاً ولا قولاً مستكرها، وأكثر ما تجد ذلك في خطب المولدين"⁴.

1 محمد بن عبد الغني المصري، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في النقد الأدبي دار المجدلاوي للنشر والتوزيع ، سنة : 1986 ، عمان، الأردن، ص: 5.

2 الجاحظ البيان والتبيين، ص 112.

3 الجاحظ البيان والتبيين، ص 113/1.

4 الجاحظ البيان والتبيين ، ص : 8/2.

إن الإحاطة بقيم المنهج عند الجاحظ أمر يستدعي بحثاً مستقلاً، إنما الذي أردناه ههنا، هو فقط الحديث عن إسهام المعتزلة في التأسيس لضوابط الخطاب المؤثر الذي يقوم على فتوحات البلاغة وأن الأمر مرتبط بالإقناع وليس مقتصرًا على الامتاع لأن في ذلك صلة بمنهجهم في الرد على غيرهم، والناظر في البيان والتبيين، والحيوان يجد صدقية هذا الأمر.

وبالجاحظ نسجل أن المعتزلة قد استمروا في تبني البحث البلاغي والعمل على توطين هذا المعطى في ما ينجزونه من مؤلفات يبرزون محل من خلالها عناصر انشاء الكلام - الخطاب - المؤثر المقنع الذي يحمل التعبير عن أفكارهم وآرائهم، كما يحمل في الوقت ذاته الرد على خصومهم، وإلى ذلك تنظيف مسعاهم في الكشف عن سر الإعجاز في التعبير القرآني والجاحظ ذاته ألف في مسألة نظم القرآني، وإلى من نذكرنا نضيف ما قدمه: الرمانى (384)، والمرزبانى (384) القاضى عبد الجبار (15)، والشريف الرضى (476)، الزمخشري (538) وغيرهم كثيراً ويكفى ذلك إمعان النظر فيما تركه الزمخشري.

ولا سيما تفسيره «الكشاف» ولمزيد الاطلاع عليها يمكن النظر في كتاب محمد حسين أبو موسى البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري، وكتاب «المغني في أبواب التوحيد والعدل» للقاضي عبد الجبار (359/415) سيما الجزء المتعلق بإعجاز القرآن، تلك جهود المعتزلة في مجال الدرس البلاغي، وإظهار مدى فاعليته.

المحاضرة التاسعة:

10 - من مباحث المجاز في التراث البلاغي

للعبور للحديث عن مسألة المجاز عند المعتزلة وجبا التقديم بهذه الملاحظات التي أوردها أحد الدارسين ، وهي كما سوف نسجل تحيلنا على نظرة ذات بعد شمولي من جهة ، ثم هي جنبتنا الخوض في مسائل قبل أوانها من ناحية أخرى ، هذه الملاحظات التي نوردها ملخصة ولمن طلب المزيد يبحث عنه في مظانه.

1. مذهب يرى أن اللغة في مجملها مجاز حتى أن قولنا : جاء زيد و كلمت زيدا من المجاز ذلك أن زيدا اسم هذا الموجود وهو من وقت الولادة إلى الآن... فليس زيد الآن هو الموجود وقت التسميه فقد اطلق الاسم على غير ما وضع له أولاً.

وهناك مذهب آخر يرى أن أكثر اللغة مجاز كأبي علي الفارسي وتلميذه ابن جني فقد ذكر هذا الأخير: "أن أبا علي أخبر أن قولنا: (قام زيد بمنزلة : خرجت فإذا الأسد، ومعنى قولهم: خرجت فإذا الأسد تعريفه تعريف الجنس كقولك: الأسد أشد من الذئب . وأنت لا تريد أنك خرجت وجميع الأسد التي تناولها الوهم على الباب.... وإنما أردت فإذا واحد من هذا الجنس بالباب فوضعت لفظ الجماعة على الواحد لما فيه من الاتساع والتوكيد والتشبيه) نقله من الخصائص ، ثم يرى أنه من هذا المنطلق يذهب ابن جني الى (أكثر اللغة مع التأمل مجاز لا حقيقة) و اذن فإن ابن جني يرى أن وضع الفعل (قام) لجنس القيام إنما هو من قبيل وضع الكل على الجزء اتساعا ومبالغة وتشبيها.

- وهذا مذهب آخر لا ينكر وقوع المجاز في اللغة ولكنه ينكر بشدة وقوع المجاز في القرآن الكريم ذلك لأن المجاز في هذا المذهب (أخو الكذب والقرآن منزه عند وأن المتكلم لا يعدل إليه الا إذا ضاقت به الحقيقة فيستعيرون وذلك محال على الله) نقله عن كتاب (الاتقان).

ثم ينقل¹ عن العلوى صاحب (الطراز) حجج هذا المذهب، نوجزها فيما يلي:

1- أن الله تعالى لو خاطب بالمجاز لكان يجوز وصفه بأنه متجاوز و مستعير وهذا غير لائق بالحكمة الالهية

2 - أن المجاز لا ينبئ عن معناه بنفسه فورود القرآن به يؤدي إلى أن لا يعرف مراد الله سبحانه فيقضي إلى

الالتباس وهو منزه عنه.

¹ المرجع نفسه ، ص 146.

3 - أنه لا فائدة في العدول إلى المجاز مع امكان الحقيقة فالعدول إليه يكون عبثا لا حاجة إليه.

4- أن كلام الله حق و صواب و كل حق فله حقيقة وكل ما كان حقيقة فلا يدخله المجاز .

وهناك مذهب آخر يرى أن المجاز يدخل لغة القرآن كما يدخل عموم اللغة وحجتهم في ذلك قوله تعالى:

"وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" إبراهيم 4.

غير أن رجال هذا المذهب اختلفوا في أية يصح دخول المجاز و في أي منه لا يصح دخوله؟

ثم يسجل مهدي صالح السامرائي أنه "احتدم الخصام بيني المعتزلة من جهة وبين أهل السنة من جهة أخرى، وكان مدار هذه الخصومة (مسألة التجسيم) .

ثم يسجل مهدي صالح السامرائي بعد هذا الاستعراض المفصل وبالإحالات عن المصادر التي استمد منها ذلك، قلت يسجل ملاحظة مفادها الواقع أن أغلب رجال البلاغة يدخل في هذا المذهب الذي ثم يؤمن بدخول المجاز في القرآن الكريم واللغة¹ ثم يورد بعد ذلك نصا نقله عن الإمام عبد القاهر الجرجاني بعد أن يصدر ذلك بهذا التعليق يقول: " فالأمام عبد القاهر لا يرى وجود المجاز في اللغة وحسب بل يرتب على الجهل به فساد الدين"²، يقول عبد القاهر: "أن أريك عظم الآفة في الجهل بحقيقة المجاز وتحصيله، وأن الخطأ فيه مورط صاحبه، وفاضح له و مسقط قدره وجاعلا ضحكة يتفكه بها"³....

لا تنتسح مثل هذه الوقفة العجلى لجميع القضايا المتعلقة بمسألة المجاز، وما دار حولها من أراء كثيرة ومتشعبة، و للوعي بذلك على الوجه الأتم ينصح بعد الاكتفاء بهذه الملاحظات، إنما يقصد في ذلك إلى المصادر

¹ المرجع نفسه ، ص: 149

² المرجع نفسه . ص: 149.

³ عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة ، تحقيق، محمود شاكر، طبعة المدني، القاهرة، مصر، ص: 393.

التي عالجت هذا الأمر سيما ما تعلق منه بقضايا العقيدة، مع ملاحظة أنه من الضروري الانطلاق من خلفية معرفية عميقة - تكون قد استوعب مقولات التراث في هذا الشأن.

والمرجو في هذا الباب، وفي هذا المستوى التعليمي الاكتفاء ما يسعف الطالب من معالجة بعض مفردات

البلاغة، مثل ما هو حاصل فيما سوف نرى:

المحاضرة العاشرة:

أولا المجاز العقلي¹:

أ. هو اسناد فعل أو ما في معناه إلى فاعل غير فاعله الحقيقي لعلاقة بينهما، ويجري التجوز في المجاز العقلي في الاسناد دون المعنى فالألفاظ فيه تدل على ما وضعت له في اللغة ولكن المتكلم يخرج بها عن الوجه المعهود في إجرائها في التركيب النحوي فيستأنف إجراء تركيبها جديدا لها، نسمي هذا المجاز بالعقلي لأنه يقوم على تكسير رابط عقلي به يحري تأليف الكلام، مثل²:

فاضت عيني، فحق الفعل (فاض) أن يسند إلى الدمع الذي فاض، أي كثر حتى سال، لكنه أسند إلى ملابس له متعلق به ، وهو العين التي هي مكان فيضان الدمع.
ب . ملابسات الفعل وما في معناه كثيرة منها :

1- الزمان: فقد يستند الفعل وما في معناه إلى زمان الفعل كقول الله تعالى: "إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا" الانسان 10، فقد أسند العبوس لزمان العبوس، وهو اليوم، وهذا يشعر بشدة هول اليوم، وكثره العابسين فيه.

2- المكان: فقد يستند الفعل وما في معناه إلى مكان الفعل كقوله تعالى: " أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا" الرعد 17، فقد اسند السيلان لمكان السيلان، وهو الأودية، وهذا يشعر بامتلاء الأودية بالماء النازل.

¹ ينظر الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية، المركز العربي، ط/1 سنة: 1992 ، بيروت، لبنان ، ص: 45 وما بعدها.
² محمد بن عبد العزيز نصيف، زبدة البلاغة، دار طيبة ط/2 سنة: 1442 ، مكة المكرمة ، ص: 74 وما بعدها.

3- المفعول: فقد يستند الفعل المبني للمعلوم - وكذا اسم الفاعل إلى المفعول، كقوله تعالى: "فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ

مَوَازِينُهُ (6) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ" القارعة 7/6، فقد اسند اسم الفاعل راضية إلى العيشة التي هي في

الحقيقة مرضية، وهذا يشعر بشدة طيب العيشة.

4- الفاعل فقد يسند الفعل المبني إلى للمفعول - وكذا اسم الفاعل، كقوله تعالى: "وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ

وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا" الاسراء 45، فقد اسند اسم المفعول « مستورا » إلى الحجاب

الذي هو في الحقيقة ساتر وهذا يشعر بشدة هذا الحجاب.

ثانياً المجاز اللغوي:

يكون في نقل الألفاظ من حقائقها اللغوية إلى معان أخرى بينها صلة ومناسبة

وهذا المجاز يكون في المفرد، كما يكون في التركيب المستعمل في غير ما وضع له.

وهذا النوع (المجاز اللغوي) نوعان¹:

أ- مجاز تكون العلاقة فيه بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي المشابهة، ويسمى المجاز الاستعاري كما يسمى

الاستعارة، ينظر قسم الاستعارة

ب - مجاز لا تكون فيه العلاقة هي المشابهة، ويسمى المجاز المرسل وسمي مرسلًا لأنه لم يقيد بعلاقة المشابهة،

أو لأن له علاقات كثيرة.

والمجاز المرسل: ما كانت العلاقة بين ما استعمل فيه وما وضع له ملابسة غير التشبيه.

¹ محمد بركات حمدي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع، ط1 سنة: 1991 عمان، الأردن ص: 27، 28.

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة¹، تنبع من ذوق الأديب وأساليبه، وقد أحصى منها علماء البلاغة أكثر من عشرين علاقة منها : السببية، المسببية، إطلاق الكل على البعض، إطلاق البعض على الكل، إطلاق اللازم وإرادة الملزوم، إطلاق الملزوم وإرادة اللازم، إرادة المطلق وإرادة المقيد، وإطلاق المقيد وإرادة المطلق، إطلاق العام وإرادة الخاص، وإطلاق الخاص وإرادة العام، إطلاق الحال وإرادة المحل، إطلاق المحل وإرادة الحال، وإقامة المضاف إليه مقام المضاف، إقامة المضاف مقام المضاف إليه، علاقة الجوار، اعتبار ما كان عليه الشيء، اعتبار ما يؤول إليه الشيء، علاقة الآلية، علاقة البدلية والوعوض، إطلاق المعرف باللام وإرادة واحد منكر إطلاق النكرة في الإثبات وإرادة العموم، علاقة التضاد...

ثالثاً أشهر هذه العلاقات:

1- الكلية: وهي أن يذكر الكل، ويراد الجزء، مثل قول الله تعالى: " وَإِذْ كَلَّمْنَا نوحًا أَنِ اضْمُرْ كُنُوزَكَ فَاصْرُفْ إِلَىٰ نَجَاتِكَ وَأُخْرِ الْأَكْفَابَ مِنَ الْبَارِئِ وَأَنْصُرْ مَلِيكًا مَّن ذُرِّيَّتِكِ إِنَّكَ كَادِحٌ عَلَىٰ آلِكَ فَانقُصْ لَهَا مِنْ ذُرِّيَّتِكِ مَا شَاءَ وَلَا تُخَالِفْ بِآيَاتِ اللَّهِ مَا تُكَذِّبُهَا " في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكبارًا" نوح 7.

أي: يجعلون بعض أصابعهم وهي رؤوسها (الأنامل)، وهذا من إطلاق الكل وإرادة بعضه، وفائدة هذا المجاز الإشعار بما في نفوسهم من الرغبة بإدخال كل أصابعهم في آذانهم حتى لا يصل إليها الصوت الشديد المميت الذي تحدثه الصواعق، فقد ذكرت الآية الأصابع وإراد جزء منها وهو طرف الأصابع، أي: رؤوس الأنامل.

2 - الجزئية: وهي أن يذكر الجزء ويراد الكل، مثل قول الله تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ" النساء 92، أطلق الله -سبحانه وتعالى- لفظ (رقبة)، وقصد بها: المملوك من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، فكلمة (رقبة) مجاز مرسل، علاقته الجزئية، حيث ذكر الجزء وهو (الرقبة)، وأراد الكل وهو العبد

¹ أيمن أمين عبد الغنى، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، دار التوفيقية للتراث، للقاهرة، مصر سنة 2011 ص 139 وما بعدها.

3 - المحلية: وهي أن يذكر المحل، ويراد من به، أو هي أن يذكر المكان ويراد من فيه، مثل قول الله عز وجل: "وَأَسْأَلُ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعَيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ" يوسف 82، أطلق الله - لفظ (القرية)، ولم يقصدها بنفسها، وإنما قصد من فيها، وهم أهل (القرية) وهذا من باب إطلاق المحل، أي (المكان) وإرادة من به فكلمه (القرية) مجاز مرسل، علاقته محلية، حيث ذكر المكان ، وهو (القرية) ، وأراد من به، وهم أهل القرية.

4- الحالية: و يكون المجاز المرسل علاقته الحالية، عندما تذكر من بالمكان أو ما في المكان ولا تريد ولكن تريد المكان نفسه، مثل: " نزلت بالقوم فأكرموني" ف نزلت (بالقوم) مجاز مرسل علاقته الحالية أي نزلت بدار أو مكان القوم حيث عبر عن المكان بالموجودين ...

5- المجاورة: وهي أن يكون الشيء مجاوراً لغيره فيطلق عليه اسمه "طعنت بالرمح ثيابه"، أي: جسمه، حيث ذكر لفظ (ثياب)، ولم تقصده لنفسه، وإنما قصد ما يجاوره، وهو الجسم، وهذا من باب إطلاق الشيء على ما يجاوره أي (الجسم) .

6 - السببية: وهي أن يذكر السيد ويراد المتسبب، أو نعبر بذكر السبب للدلالة على النتيجة، مثل قولك: (هذا الظالم له يد في الفساد) فكلمة (يد) مجاز مرسل، علاقته السببية، والمراد: هذا الظالم له تأثير في هذا الفساد، لأن التأثير يصدر عن اليد، ومثل: (للأب على أبنائه أيد كثيرة) فكلمة (أياد) مجاز مرسل علاقته السببية والمراد بـ (أياد) هي النعم؛ لأن النعمة تصدر عن اليد فاليد هي سبب النعمة.

7 - المسببية: وهي أن يذكر المسبب ويريد السبب، مثل قول الله تعالى: "هُوَ الَّذِي يُرِيكُم آيَاتِهِ وَيُنَزِّل لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ" غافر 16، عبر الله سبحانه وتعالى بالرزق عن المطر، لأن الرزق مسبب عن المطر، والمطر هو السبب، فقوله (رزقا) مجاز مرسل علاقته المسببية، لأنه ذكر المسيب، وأراد السبب.

8- اعتبار ما كان: وذلك حينما يذكر الماضي في الحاضر، أو النظر إلى الشيء بما كان عليه في الماضي، مثل قوله تعالى: "وأتوا اليتامى أموالهم" النساء 2، أي أتوا البالغين أموالهم، وتجد أن اليتيم في اللغة هو الصغير الذي مات أبوه، فهل تظن أن الله سبحانه يأمر بإعطاء اليتامى الصغار أموال آبائهم؟ هذا غير معقول، بل الواقع أن الله يأمر بإعطاء الأموال من وصلوا سن الرشد بعد أن كانوا يتامى، فكلمة اليتامى هنا مجاز، لأنها استعملت في الراشدين والعلاقة اعتبار ما كان...

ويرى أمين عبد الغني أن الحكمة من التعبير بلفظ اليتيم عن البالغ يقول هذا من أجل استعطاف الأولياء واسترحامهم، حتى يؤدوا الأموال إلى أهلها، فكأنه قال: اذكروا يتمهم وأعطوهم أموالهم.

9- اعتبار ما سيكون: وذلك حينما يذكر المستقبل في الحاضر أو عندما تتكلم عن المستقبل في الوقت الحالي، مثل قول الأم لوضيعها (أرضع عالماً) والواقع أن توضع الأم طفلاً رضيعاً لذا فهذا مجاز مرسل، علاقته اعتبار ما سيكون، لأنه ذكر المستقبل في الزمن الحاضر أي سيكون عالماً.

وعلى هذا النمط من الملاحظة والتحليل تجري مقارنة بقية العلاقات التي يقوم عليها المجاز المرسل، جاء في الموطأ في البلاغة¹:

في غير معناه الحقيقي، ومعه

مَجَازُنَا إِسْتِعْمَالُ لَفْظٍ بِسَعِهِ

لاسنادهم، واللغوي للقول

قَرِينَةٌ تَمْنَعُهُ، فَالْعَقْلِي

فَذِي لَتَشْبِيهِهِ، وَذَلِكَ يُرْسَلُ

فَاللُّغَوِي اسْتِعَارَهُ وَ مَرْسَلُ

¹ سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله الموطأ في البلاغة ونظمه وشرحه، مكتبة الرشد، ط/ 1، سنة: 2024، الرياض، السعودية، ص: 217.

المحاضرة الحادية عشرة:

التشبيه

1. التشبيه¹:

في اللغة: التمثيل يقال هذا شبه هذا ومثيله وشبهت الشيء بالشيء أقمته مقامه لما بينهما من الصفة

المشتركة.

في الاصطلاح: إلحاق أمر المشبة بأمر المشبه به في معنى مشترك وجه الشبه بإداة الكاف وكأنّ وما

في معناهما لغرض فائدة.

2. فائدة التشبيه:

التي قصدها ابن سنان حين ذكر: "والأصل في حسن التشبيه أن يمثل الغائب الخفي الذي لا يعتاد بالظاهر المحسوس المعتاد، فيكون حسن هذا لأجل إيضاح المعنى وبيان المراد، أو يمثل الشيء بما هو أعظم وأحسن وأبلغ منه فيكون حسن ذلك لأجل الغلو والمبالغة"² ثم يورد لذلك مثالا من القرآن الكريم، قوله تعالى: "والذين كفروا أعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً " النور 39.

3. أركان التشبيه:

أركان التشبيه، وهي أربعة: طرفاه (المشبه والمشبه به)، ووجهه، وأداته إذا كان الطرفان معلومين، فإن المراد بوجه الشبه فهو المعنى الذي يشترك فيه الطرفان تحقيقاً أو تخيلاً، والمراد بالتخيّل ألا يُمكن وجوده في المشبه به إلا على التأويل، كما في قول القاضي التنوخي: وكأنّ النجوم بين دجاها سنن لاح بينهن ابتداع

¹ أحمد بن محمد المراغي، علوم البلاغة، ص: 213.

² أبو محمد سعيد بن سنان الخفاجي (466)، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1982، ص: 246.

فإن وجه الشبه فيه الهيئة الحاصلة من حصول أشياء مشرقة بيض في جوانب شيء مظلم أسود، فهي غير موجودة في المشبه به إلا على طريق التخيل، وذلك أنه لما كانت البدعة والظلاله وكل ما هو جهل يجعل صاحبها في حكم من يمشي في الظلمة فلا يهتدي إلى الطريق ... فلا يأمن أن يتردى في مهواة، أو يعثر على عدو قاتل، أو آفة مهلكة... ولزم عكس ذلك - أن تشبه السنة والهدى وكل ما هو علم بالنور"¹

وقد مثّلوا لتوفر الأركان بمثل هذين البيتين:

أنت كالبحر في السماحة والمش س علواً والبدر في الإشراق

العمر مثل الضيف، أو كالطيف ليس له إقامة.

أقسام التشبيه:

- التشبيه المرسل: ما ذكرت فيه الأداة وقد مثّلوا لذلك بقول الشاعر:

أنا كالماء إن رضيتُ صفاءً وإذا سخطت كنت لهيباً.

- التشبيه المؤكد: ما حذف منه الأداة، مثل:

أنت نجم في رفعة وضياء تجتليك العيون شرقاً وغرباً.

- التشبيه المجمل: ما حذف منه وجه الشبه، مثل:

وكأنَّ الشمس المنيرة ديب نار جلته حدائدُ الصُّرَّابِ.

- التشبيه المفصل: ما ذكر فيه وجه الشبه، مثل:

¹ عبد المتعال الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط/17، سنة: 2005، ص: 394/3.

فكأن لذة صوته ودبيها سنّة تمشي في مفاصل نعس

- التشبيه البليغ: ما حذفته منه الأداة ووجه الشبه

إذا صح منك الود فالكل هين ، وكل الذي فوق التراب تراب

ويعد أرقى أنواع التشبيه بلاغة لمطابقتها بين المشبه والمشبه به.

أنواع التشبيه:

1_ تشبيه التمثيل:

تشبيه التمثيل: يُسمى التشبيه تمثيلاً إذا كان وجه الشبه فيه صورة منتزعة من متعدد، وغير تمثيل إذا لم

يكن وجه الشبه كذلك.

ومثله قول امرئ القيس:

وليل كموج البحر أرخى سدوله علي بأنواع الهموم ليبتلي.

وقول المتنبي:

يهز الجيش حولك جانيبه كما نفضت جناحيها العقاب.

2_ التشبيه الضمني:

التشبيه الضمني: هو تشبيه لا يوضع فيه المشبه والمشبه به في صورة من صور التشبيه المعروفة، بل

يلمح المشبه والمشبه به، ويفهمان من المعنى ، ويكون المشبه به دائماً برهاناً على امكان ما أسند إلى المشبه.

ويمثلون لذلك بقول المتنبي:

من يهن يسهل الهوان عليه ما الجرح بميت إيلام .

فمن اعتاد تلقي الإهانة صار يقبل أن يتلقى الهوان ولا يستغزه ذلك،

وكتقول أبي فراس الحمداني

سيذكرني قومي إذا جد جدهم وفي الليلة الظلماء يفترق البدر.

3_ التشبية المقلوب:

التشبية المقلوب¹: ويسمى المنعكس، وهو ما رجع فيه وجه الشبه إلى المشبه به، وذلك حين يراد تشبيه الزائد بالناقص ويلحق الأصل بالفرع للمبالغة، وهذا نوع جار على خلاف العادة في التشبيه، ووارد على حساب الندور، وإنما يحس في عكس المعنى المتعارف.

كتقول البحتري:

في طلعة البدر شيء من محاسنها وللقضيب نصيب من تشيها

فقد عكس ذلك للمبالغة.

كما مثلوا لذلك يقول محمد بن وهيب الحميري من الشعراء الدولة العباسية

وبدا الصباح كأنَّ غرَّته وجهُ الخليفة حين يمتدح.

شبه غرة الصباح، بوجه الخليفة، إيهامًا أنَّه أتم منها في وجه الشبه، يقول عبد المتعال الصعيدي: " والاعتبار

اللطيف فيه قصد المبالغة"².

¹ أحمد بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 239 وما بعدها .

² عبد الله المتعال الصعيدي، بغية الايضاح، ص : 149/1.

المحاضرة الثانية عشر:

الاستعارة

الاستعارة لغة:

من " العارية وهي نقل الشيء من شخص إلى شخص، وفيها معنى الرفع والتحويل، يقال استعار فلان من كنانته سهما، إذا رفعه وحوله منها إلى يده، وهذا ما يرشد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي الشريف (مثل المنافق كالشاة العائرة بين غنمين) بمعنى أنها تنتقل وتتحول ولا تستقر على أمر"¹.

الاستعارة اصطلاحاً:

فهي " تشبيه حذف منه المشبه به أو المشبه، ولا بد أن تكون العلاقة بينهما المشابهة دائماً، كما لا بد من وجود قرينة لفظية أو حالية مانعة من إرادة المعنى الأصلي للمشبه به أو المشبه"².
ولعل المعجم قد نقل بلغة بسيطة ما ذكره عبد القاهر الجرجاني، حين قال: " اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدلُّ عليه الشواهد على أنه اختص به حين وُضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلاً غير لازم فيكون هناك كالعارية"³.

¹ فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان، عمان الأردن، ط/3، سنة: 1992، ص: 157.
² وهبة المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، بيروت سنة: 1979، ص: 19.
³ أبوبكر عبد القاهر الجرجاني (471) أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة مصر، ص: 30.

فائدة الاستعارة:

لا شك أن للاستعارة فوائد جمة، ولا سيما حين تعمقت مباحث تحليل الخطاب عامة وعلى امتداد الأزمنة، وخاصة ما تعلق منها بتفكيك الصورة البيانية، غير أن ذلك جميعه يصب فيما نبه إليه القدامى بخصوص فائدة هذه الأخيرة، فعلى سبيل المثال، يقول العسكري: " نقل العبارة عن موضوع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك إما يكون شرح المعنى، وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده، والمبالغة فيه، وهذه الأوصاف موجودة في الاستعارة المصيبة، ولولا أن الاستعارة تتضمن ما لا تتضمنه الحقيقة من زيادة فائدة لكانت الحقيقة أولى منها استعمالاً¹، لعله دون شك تعبير حاسم، يربط هذا الضرب من التصوير بضرورة حصول الإضافة في مستوى الدلالة، وإلا فإن الحقيقة أولى من العبور للتصوير المجازي.

وفي النقد الحديث ما يؤشر على أن البحث أثبت لهذا النوع من التصوير الحاجة إليه يُمليه التحول الذي يحدث، وأثر ذلك في الرفع من منسوب الجمالية، " إنما يغلب عليها - أي الاستعارة - التشكيل اللغوي الجمالي، ولذلك فهي تتصف بالايحاء الشديد والإدهاش² وتلك السمات الجوهرية للخطاب الأدبي الجمالي، ألم قيل قبل ذلك الإمام عبد القاهر: " ترى بها الجماد حيا ناطقًا، والأعجم فصيحًا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية³ .

أقسام الاستعارة:

تنقسم الاستعارة باعتبار ذكر المشبه به أو ذكر ما يخصه إلى قسمين:

1_ مصرحة أو مصرح بها أو تصريحية، وهي ما صرح فيها بلفظ المشبه به، كقول شوقي:

¹ أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق: على محمد البجاوي، محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، لبنان، سنة: 1986، ص: 274.

² محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبي، دار المعارف، القاهرة، مصر، سنة: 1988، ص: 154.

³ أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 43.

" شبهت الدلالة بالقول بجامع إيضاح المراد وإفهام الغرض في كل منهما واستعير اللفظ الدال على المشبه به للمشبه، واشتق من القول بمعنى الدلالة قائل بمعنى دال على طريق الاستعارة التصريحية والقرنية نسبة القول إلى الدقات"¹.

2_ مكنية: وهي ما حذف فيها المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه نحو، قال تعالى : واخفض لهما جناح الذل من الرحمة " الإسراء 24، شبه الذل بطائر بجامع الخضوع واستعير الطائر للذل، ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو الجناح، على طريق الاستعارة بالكناية، وإثبات الجناح للذل استعارة تخيلية، وهي قرينة مكنية، ويجعل الطائر مستعاراً للمخاطب " أي الولد في معاملة والديه " والأصل واخفض لهما جناحك ذلاً"² ومنها قول الشاعر:

أنفقت عمري في رضاك وليتني أعطى وصولاً بالذي أنا منفق

شبه العمر بالمال بجامع الانتفاع واستعير المال للعمر ثم حذف ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو الإنفاق الذي هو القرينة، وذكر وصول، ومنفق ترشيح وإثبات الإنفاق استعارة تخيلية"³.

ملاحظة: يسجل بعض البلاغيين أن " الاستعارة المكنية أبلغ من الاستعارة التصريحية، إذا الثانية لم تزد المبالغة فيها على دعوى اتحاد المشبه بالمشبه به بخلاف الأولى فإنك تجاوزت فيها ذلك وأثبت للمشبه خواص المشبه به ولوازمه وذلك أدخل في دعوى الاتحاد إلى مدى أبعد مما بلغته التصريحية"⁴.

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص: 270.

² المرجع نفسه، ص: 271.

³ مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، ص: 149/148.

⁴ المرجع نفسه، ص: 149.

الكناية

يقول يحي بن حمزة العلوي مبينا الإمكانيات التي تتيحها الكناية في إكساب القدرة على التعبير بطرق غير تقليدية من شأنها إحداث استقرار لدى المتلقي حتى يستتفر لطاقته على طلب الفهم: أن الكناية أدخل في إفادة المعاني من تلك الصرائح الموضوعية، وذلك لأن دلالة هذه الأمور على ما تدل عليه، إنما كان دلالة باللائم والتابع، ولا شك أن الدلالة على الشيء بلازمه أكشف لحاله، وأبين لظهوره، وأقوى تمكنا في النفس من غير ما ليس بهذه الصفة¹.

لعل مثل هذا التوصيف يعلي من شأن الكناية باعتبارها إحدى الصور البيانية، كما يفصح على ضرور استعمال هذا النمط من التصوير لما يمكن أن يضيفه من عناصر جمالية التراكيب البيانية.

الكناية في اللغة:

مصدر كنى يكني، وكنيته تكنية حسنة²، " ما يتكلم به الانسان، ويريد به غيره ، وهي مصدر كنييت بكذا عن كذا إذا لتصريح به³ ".

الاصلاح : تطلق على معنيين

المعنى المصدرى الذي هو فعل المتكلم أعني ذكر اللفظ الذي به لازم معناه مع جواز إرادته معه.

اللفظ المستعمل فيما وضع له، لكن لا ليكون مقصوداً بذاته، لينتقل منه إلى لازمه المقصود لما بينهما من العلاقة واللزوم العرفي، وعلى هذا التعريف فهي حقيقة لاستعمال اللفظ فيما وضع له لكن لا لذاته، بل لينتقل

¹ يحي بن حمزة العلوي، الطراز لأسرار البلاغة، ص : 1/ 156.

² المصدر نفسه، ص 15/185

³ محمد بن مصطفى الهاشمي، جواهر البلاغة، ص: 286

منه إلى لازمه فمعناه مراد لغيره مع استعمال اللفظ فما وضع له واللازم مراد لذاته، لا مع استعمال اللفظ فيه ...
فقول: " فلان رحب الصدر، ونقصد أنه حلیم من قبل أن الحلیم يكون ذا أناة وتؤدة ولا يجد الغضب إليه سبيلاً
لما في صدره من السعة لاحتمال ... كما يحتمل الصندوق الواسع كثيراً من المتاع..."¹

والمعنى الاصطلاح كما يشيع في كتب البلاغة الحديثة، يأتي مباشراً و موجزاً وبعيدا عن التعقيد، فيقولون
الكتابة و لفظ أطلق ، وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى

أقسام الكناية:

تنقسم الكتابة باعتبار المكني عنه ثلاثة أقسام، فإن المكني عنه² :

- قد يكون صفة

- وقد يكون موصوفاً

- وقد يكون نسبة

قالت الخنساء في رثاء أخيها صخر:

طويل النجاد، رفيع العماد كثير الرماد، إذا ما شتا

فصفات (طويل النجاد، رفيع العماد، كثير الرماد)، فهي تدل على الشجاعة، والمكانة المرموقة، والكرم

إذ يقصد الضيوف.... ومنها عرف هذا النوع بالكناية عن صفة.

¹ أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة، ص: 302.

² ينظر، علي الجارم ومصطفى أمين البلاغة الواضحة ودليلها في ثوبها الجديد، علم البيان، عنى به: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، ط/1، سنة: 2023، ص: 259 وما بعدها .

وفي قول آخر:

الضاربين بكل أبيض مَحْدَمٍ والطاعنين مجامع الأضغان.

فقول الشاعر (مجامع الأضغان) يكون متحدثا عن القلوب إلى استبدالها بمجامع الأضغان إذ القلوب مستقر الحقد والحسد والكراهية، الملاحظ في هذا المثال أن الكناية هاهنا كناية عن موصوف ألا وهو القلب ورأينا أن من صفاته أنه (مجمع الكراهية والبغض).

المجد بين ثوبيك والكرم ملء برديك

ففي هذا المثال: أبدل أن ينسب المجد والكرم إلى الممدوح مباشرة، نسبت هذه الخصال إلى ماله اتصال به، وهو (الثوبان) و (البردان) ويسمى هذا المثال وما يشبهه كناية عن نسبة.

قبل مقارنة المجموعة المقررة من مفردات البديع، يحسن أن نباشر الأمر بالقول فيما يعرف بعلم البديع، الذي سبق الحديث عنه من حيث تطور هذا المصطلح البلاغي المشتمل على جملة من العناصر.

جاء في أهم المعاجم العربية:

بدع الشيء يبدعه بدعا وابتدعه: أنشأه وبدأه... والبديع المحدث العجيب، والبديع: المبدع، وأبدعت

الشيء: اخترعته لا على مثال... هذه المعاني تنتهي إلى أمرين اثنين:

1. الجدة التي يدل عليها إنشاء الشيء ابتداء وعلى غير مثال سابق.

2. البراعة والغرابة التي يدل عليها العجيب¹

فقد وردت كلمة (بديع) في القرآن الكريم، في قوله تعالى: " بديع السماوات والأرض وإذا قضى أمرا فإنما

يقول له كن فيكون" البقرة 114، و قوله تعالى: " بديع السماوات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة

وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم" الأنعام 101.

" وعندي أن ذلك يتضمن معنى العجيب.... والظريف الذي يلفت النظر"²

وبالنظر في الدلالة الاصطلاحية التي تحيل على معنى الجدة، والبراعة، والطرافة نسجل ما يلي:

(1) عند الشعراء الأوائل حيث كانوا ينشئونهم بالفطرة النقية وكانت الألوان البديعية قليلة لكنها عفوية

مطبوعة رائقة مؤثرة كقول امرئ القيس في وصف فرسه:

وقد أعتدي والطير في وُكُناتها بمنجرد قيد الأوابد هيكل

¹ ابن ابي الأصبغ المصري (654هـ) بديع القرآن، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة، سنة: 1957، ص: 8.

² المصدر نفسه، ص: 9.

ففي البيت الثاني طباقان بين الكر والفر، وبين الإقبال والإدبار، وهما أروع ما يكونان صياغة وأداءً...¹

كما نسجل أيضا:

(2) "وحتى العصر العباسي.... أوحى للشعراء بأخيلة جديدة وصورة بديعة، فأثروا بكثير من الألوان

حتى عرفوا بالبيديع... ولما كان شعراء البيديع حديث الناس في العصر العباسي وكانهم هم الذين

اخترعوه، فقد دفع هذا عبد الله بن المعتز (296هـ) إلى تأليف كتابه "البيديع" وأبان منهجه وهدفه

بقوله في مقدمته² "ثم ينقل من كتابه البيديع ما يلي: "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما

وجدنا في القرآن الكريم واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة وغيرهم،

وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البيديع ليعلم أن بشارا ومسلما وأبانواس، ومن

تقبلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكن كثر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سمي

بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه"³

لقد سبقنا مثل هذه الإشارات، غير المقصود في مثل هذه المباحث النظر بعض مفردات البيديع، التي

قسمها العلماء إلى المحسنات المعنوية، والتي منها:

- الطباق

- المقابلة

- التورية

¹ محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة، دار اليقين، ط/1، سنة: 2011، المنصورة، مصر، ص: 407.

² محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة، ص: 408.

³ عبد الله بن معتز، البيديع، ص: 73.

المحاضرة الرابعة عشرة

أولا المحسنات المعنوية:

1. الطباق

الطباق: الجمع بين الشيء وضده في الكلام " وهذا المعنى موجود في أصل الاستعمال اللغوي وهو (طباق

الفرس في جريه: إذا وضع رجله موضع يده) وذلك بالنظر إلى ضديه بين موضع رجل الفرس ويده"¹

1- طباق الإيجاب: وهو ما لم يختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا، مثل: قال تعالى: " وتحسبهم ايقاظا وهم رقود"

قال: دعبل الخزاعي:

لا تعجبني يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي

2- طباق السلب: وهو ما اختلف فيه الضدان إيجابا وسلبا

- قال تعالى: " ولكن أكثر الناس لا يعلمون * يعلمون ظاهرا من الحياة الدنيا " (الروم 6، 7)

- عجب أن يرى المرء عيوب الناس، ولا يرى عيب نفسه .

ملاحظة: " فرأو أن الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به مطابق

فيه بين الضدين، وهو على ضربين: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز، فما كان منه بلفظ

الحقيقة سمي طباقا، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا، فمثال التكافؤ قول ابن رشيق:

وقد أطفأوا شمس النهار وأوقدوا نجوم العوالي في سماء عجاج².

¹ محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة، ص: 415.

² ابن أبي الأصعب تحرير التعبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة، ص: 112.

2- المقابلة :

المقابلة: هي نوع من الطباق، غير أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو أكثر ثم يقابل على الترتيب، مثل:

- قال تعالى: " فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا " التوبة 82.
- وقوله تعالى: " يحل لهم الطبيبات ويحرم عليهم الخبائث " الأعراف 157.
- وقوله تعال : " فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى " الليل 5 .
- قال المتنبى : على رأس عبد تاج عز يزينه وفي رجل حر قيد ذل يشينه.

3- التورية

التورية في اللغة: مصدر روى الخبر إذا استره وأظهر غيره و "قد جاء في كتب السيرة النبوية أن الرسول

صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد غزاة أوسفرا إلى وجهة ورى بغيرها ليعمي الأخبار حتى لا يترصده الأعداء"¹

في الاصطلاح: أن ينكر المتكلم لفظا له معنيان أحدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والآخر بعيد

ودلالة اللفظ عليه خفية ويريد المعنى البعيد ويورى عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع الأول وهلة أنه يريد وهو

ليس بمراد ومن ثم سميت إيهاما، ومثله مايلي² :

يقول صلاح الصفدي :

وصاحب لما أتاه الغنى تاه ونفس المرء طمّاحة

¹ عبد الرحمن حبنكة الميداني، البلاغة العربية، ص: 273/2.

² أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ص: 327.

وقيل هل أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا تَشْكُرُهَا قُلْتُ وَلَا رَاحَةَ

فلراحة معنيان قريب وهو الكف وهو المتبادر بقريظة ذكر اليد وبعيد مراد وهو ضد التعب .

وعند علماء البلاغة ما يشير إلى عدم الإكثار من استعمالها مخافة ألا تفهم على نحو المراد منها لأنها تتطلب قدرا غير قليل من عناصر الوعي باللغة وبالظلال الدلالية التي توحى، فقد يحيل استخدام التورية على الغموض أو تعدد مستويات الفهم، أو لا يلتفت إليها أصلا لقلة القدرة على الاستيعاب .

أما من كان مقتدراً خبيراً بفنون الكلام مدركا للحال التي يتحدث فيه فهي تأتي في قمة الاستعمال البلاغي فقد ذكرو أنه يحتاج إليها ساعة الإنكار إذ تقدم مساحة دلالية لذلك، أو إخفاء المقصود عن العامة، وتوجيه المعنى إلى فئة مخصوصة وهكذا.

ومن الأمثلة المشهورة في هذا القسم: " قول عمر بن أبي ربيعة

أبيها المنكح الثريا سهيلا عمرك الله كيف يجتمعان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يمان

فذكر عمر الثريا وسهيلا ليوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين، لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيلا من النجوم اليمانية، وهو يريد صاحبتة الثريا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يسمى سهيلا، فتمكن لعمر أن ورى بالنجمين عن الشخصين، ليبلغ من الإنكار على جمع بينهما ما أراد¹.

¹ ابن أبي الأصعب، تحرير التحبير، ص: 268.

المحاضرة الخامسة عشرة:

ثانياً المحسنات اللفظية

1- السجع:

في اللغة: سجعت الحمامة أو الناقة سجعا، إذا رددت صوتها على طريقة واحدة.

في الاصطلاح: هو تواطؤ الفاصلتين من الفقر على حرف واحد ، وهو في النثر كالقافية في الشعر، وأفضل السجع ما كانت فقراته متساويات وعند ابن الأثير فإن " السجع: ويختص بالكلام المنثور، والتصريح،... وهو داخل في باب السجع، لأنه في الكلام المنظوم كالسجع في الكلام المنثور"¹ وقد رأى أن الذين يذمون استخدامه بأنهم مدفوعون بعجزهم " ولا أرى لذلك وجها سوى عجزهم أن يأتوا بمثله"² وهو أقسام ثلاثة:

- **السجع الموازي:** وهو اتفاق الفاصلة مع نظيرتها في الوزن والروي - مثل أي شيء أطيب من ابتسام الثغور، ودوام السرور، وبكاء الغمام ونوح الحمام .

- **السجع المطرف:** وهو اختلاف الفاصلة مع نظيرتها في الوزن وتفاقها في الروي، مثل:

غصن وما للغصن رقة خصره، يبدو اعتدال قوامه في ميله، قد عمل بلحظة الفتور نصالاً، وراش هدب الجفون نبالاً، كأنه يروم قتالا .

- **السجع المرصع:** وهو أن تكون كل لفظة في فقرة النثر أو في صدر البيت موافقة نظيرتها في الوزن و الروي، مثل قول أبي نواس :

وأفعالنا للراغبين كريمة وأموالنا للطالبيين نهاب

¹ ضياء الدين ابن الأثير، المثل السائر، ص: 210/1.

² المصدر نفسه، ص: 210/1.

ملاحظة: ومن السجع على هذا القول - يريد قول الذين يقولون باختصاص السجع بالنثر-¹ ما يسمى

التشطير، وهو جعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها، كقول أبي تمام:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتعب في الله مرتقب.

2- الجناس:

الجناس: هو تشابه لفظين في النطق، واختلافهما في المعنى، يقال له (التجنيس، والتجانس، والمجانسة).

- وأنه نوعان:

أ. **تام:** وهو ما اتفق فيه اللفظان المتجانسان في أمور أربعة:

نوع الحروف، وشكلها من الهيئة الحاصلة من الحركات والسكنات، وعددها، وترتيبها.

يقول " نجم الدين بن إسرائيل:

لم يقض من حكم بعض الذي يجب قلب متى جرى ذكراكم يجب

ب. **غير تام:** وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة، مثل:

تقهر، تنهر - نَهَاك، نُهَاك - الجوى، الجوانح .

ملاحظة: بخصوص تعمد الإكثار من هذه الظاهرة بما يحيل على نوع من التكلف يسجل صاحب خزانة

الأدب: "إنما يحسن الجناس إذا قلّ، من غير كد ولا استكراه ولا بعد ولا ميل إلى جانب الركة (الركاكة) ولا يكون

كقول الأعشى: وقد غدوت إلى حانوت يتبعني شاو مثل شلول شلشل شول².

¹ بهاء الدين السبكي (773هـ) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، سنة: 2003، بيروت لبنان، ص: 303/2.

² ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقوي، دار الهلال، ط/2004، بيروت لبنان، ص: 55/1.

المحاضرة السادسة عشر:

أسلوب القصر

لغة: القصر تعني الحبس، قال تعالى: " حور مقصورات في الخيام " (الرحمان 72) أي محبوسات فيها لا يبرحنها، يقول الزمخشري: " قصرن في خدورهن، يقال امرأة قصيرة وقصورة مخدرة، وقيل إن الخيمة من خيامهن درة مجوفة...."¹

اصطلاحاً: تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص، والمراد بالشيء الأول: المقصور، وبالثاني: المقصور عليه، والطريق المخصوص هو أدوات القصر المعروفة عند البلاغيين.

للقصر تقسيمات ثلاثة :

أولاً - تقسيم القصر باعتبار غرض المتكلم

1- قصر حقيقي: هو أن يختص المقصور عليه في الحقيقة والواقع، فالنفي فيه موجه إلى كل عدا المقصور عليه، فإذا قلت: (ما خاتم الأنبياء والمرسلين إلا محمد) كنت قد خصصته صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة، ونفيتهما عن جميع من عداه، فهي مقصورة عليه، لا تتعداه إلى غيره.

وإنما سمي هذا قصرًا حقيقيًا، لأن تخصيص الشيء بالشيء فيه بحسب الحقيقة ونفس الأمر بحيث لا يتجاوزهُ إلى غيره .

2- القصر الإضافي: فهو أن يختص المقصور عليه بالإضافة إلى شيء آخر معين بحيث لا يتجاوز المقصور عليه إلى ذلك الشيء المعين، وإن أمكن أن لا يتجاوزهُ إلى شيء آخر، فإذا قلت: (ما شوقي إلا شاعر)

¹ أبو القاسم جار الله الزمخشري، الكشاف دار الكتاب العربي، ط/3، سنة: 1407، بيروت لبنان، ص: 454/4.

كنت خصصت شوقيا بالشعر وقصرته عليه، بحيث لا يتجاوزه إلى شيء آخر معين كالكتابة مثلا، وإن كان ذلك لا ينافي أن يتجاوز الشعر إلى صفات أخرى كالتجارة أو الصناعة أو غيرهما، فالقصر هنا إنما هو بالإضافة إلى الكتابة فحسب، ولهذا سمي قصرا إضافيا.

ثانيا - تقسيم القصر باعتبار طرفيه:

1- قصر الموصوف على الصفة، فمعناه : ألا يتجاوز الموصوف تلك الصفة إلى صفة أخرى، أصلا إذا

كان القصر حقيقيا، أو على صفة أخرى معينة إذا كان القصر إضافيا.

- حقيقيا مثل قولك : (ما شوقي إلا شاعر) إذا أردت قصر شوقي على صفة الشعر.

- إضافيا: ما ابن العميد إلا كاتب، نريد قصره على صفة الكتابة، بحيث لا يتعداها إلى شيء بعينه

كالشعر، مثلا وإن جاز أن تكون تلك الصفة الكتابة لموصوف آخر.

2- قصر الصفة على الموصوف: فمعناه ألا تتجاوز الصفة ذلك الموصوف إلى موصوف آخر معين إذا

كان القصر إضافيا .

- حقيقيا : مثل : ما شاعر في القرية إلا علي.

إذا أردت أن تقصر صفة الشعر عليه بحيث لا تتعداه أصلا إلى غيره من أهل القرية .

- إضافيا : قولك : ما كتب إلا ابن العميد .

تريد أن صفة الكتابة مقصورة عليه لا تتعداه إلى رجل بعينه كالمتنبي مثلا فالقصر في هذين المثالين من

قصر الصفة وهي الشعر في المثال الأول وابن العميد في المثال الثاني، وهذا لا ينافي أن يكون للموصوف صفات

أخرى .

طرق القصر

أ. النفي مع الاستثناء : لا يفوز إلا المجد

ب. القصر بإنما : يكون المقصور عليه مؤخرًا وجوبًا مثل : إنما الأمم الأخلاق.

ج. العطف ب (لا) أو (بل) أو (لكن)

- إذا كان العطف ب (لا) كان المقصور عليه مقابلاً لما بعد، نحو: الأرض متحركة لا ثابتة .

- إذا كان العطف ب (بل) أو (لكن) كان المقصور عليه ما بعدها نحو :

ما الأرض ثابتة بل متحركة.

ما الأرض ثابتة لكن متحركة .

د. تقديم ما حقه التأخير: ويكون المقصور عليه هنا هو المقدم، نحو : على الرجال العاملين ننثني

ملاحظة لقد لاحظنا في التقديم والتأخير مثل هذا المعنى وقد سبقت إلى ذلك الإشارة .

الخاتمة

الخاتمة:

في نهاية إعداد هذه المطبوعة، المتضمنة لمفردات مقياس البلاغة العربية، وجب لفت الانتباه إلى أن الإقتصار على هذه المفردات يأتي استجابة للتحديد الذي ضبطه المقرر الدراسي الخاص سواء بالمحاضرات أو الأعمال الموجهة، حيث يجدر التذكير أنه في الحالين واحد، المحاضرات، والأعمال الموجهة.

كما نذكر أن هذا التحديد الذي يعطي الطالب مادة دسمة ثرية، حيث يقدم إجازا عاما تثقيفيا ومعرفيا للبعد التاريخي لمسار تطور البحث البلاغي في التراث العربي، حتى يحصل للطالب التكامل العلمي بين مختلف علوم اللغة: البلاغة والنحو والصرف والعروض وهي مجموعها تشكل كما هو معروف علوم الآلة، فيحافظ على سلامة اللسان من الوقوع في اللحن بواسطة علمي النحو والصرف كما أنه يقارب مسائل الجمالية في النصوص بما تتيحه مفردات البلاغة العربية، سيما حين يدرك أن الأوائل من الأئمة والعلماء قد جعلوا مناط الإعجاز في التعبير القرآني هو البعد البلاغي، وليس أدل على هذه المسألة من تجربتهم اللغوية من خلال اكتمال ما يعرف بنظرية النظم مع ظهور الشيخ الإمام عبد القاهر الجرجاني في كتابيه (دلائل الإعجاز) و (أسرار البلاغة)، فقد كانت الإشارة وضحة إلى اعتبار هذين العلمين نقطة تحول في تطور البحث البلاغي، بل ذهب بعضهم كما رأينا إلى القول بأن البداية الفعلية للبلاغة كانت مع عبد القاهر الجرجاني، ثم يتم اعتماد مجموعة من مفردات البلاغة بحسب التقسيم التي صار ملازما لها فرأينا مع التمثيل من علم المعاني، الخبر وأضرب الإنشاء والكثير من تمثلاتها كالاستقهام والأمر والنهي وما كان منها طلبيا بصفة عامة وما كان غير طلبيا، وإلى ذلك كانت دراسة التقديم والتأخير، والفصل والأصل، وأسلوب القصر.

أما في مستوى علم البيان، فتم التعرض لفاعلية علماء الكلام في التأسيس لوظيفة البلاغة بما يلائم مسعاهم في الإقناع بصحة آرائهم، دون أن يكون ذلك على حساب البعد الإمتاعى الجمالي، فقد كان لبعضهم الدور المهم في التدليل البلاغي لمسألة الإعجاز في التعبير القرآني، كما تم التطرق لقضية المجاز عند هؤلاء بما

يتناسب مع طبيعة مستوى المتلقين تثيره هذه المسألة من جدل، ثم جاء الحديث عن المجاز عند علماء البلاغة وأقسامه وما يتيح من ذكر للاستعارة، والمجاز المرسل وعلاقاته، ثم التشبيه وأقسامه وأضرابه، فالكناية وظلالها الدالية.

وأما علم البديع: فكانت بعض مصطلحاته حاضرة، مثل الطباق، المقابلة، السجع والجناس، التورية.

وقد كان المسعى الجامع لكل ما سبق، محاولة التركيز على ما يتيح عناصر البلاغة هذه من معاني خفية، أو ما بات يعرف بالمعنى ومعنى المعنى، ثم ضرورة إرساخ فكرة هذه العناصر باعتبارها آليات تحليل وكشف، يتوسل بها الطالب للوقوف على الإضافات الجمالية، وذلك حين الموازنة بين النصوص بهدف تمكينه من الإفادة منها إن في مستوى التعبير الكتابي أو حين المشافهة مع قدرة أولية على إصدار الأحكام النقدية المشفحة بالأدلة والشواهد.

والله وليّ التوفيق

المصادر والمراجع

1. المصادر والمراجع:

2. ابن أبي الأصعب البغدادي ، المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر.
3. ابن أبي الأصعب المصري (654هـ) بديع القرآن، تقديم وتحقيق: حنفي محمد شرف، نهضة مصر للطباعة، سنة: 1957.
4. ابن أبي الأصعب تحرير التحبير، تحقيق: حنفي محمد شرف، لجنة إحياء التراث، الجمهورية العربية المتحدة.
5. ابن حجة الحموي، خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق: عصام شقيو، دار الهلال، ط/2004، بيروت لبنان.
6. ابن سنان الخفاجي الحلبي (466) سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1982.
7. أبو العباس عبد الله ابن محمد المعتز بالله، (296هـ)، البديع في البديع، دار الجيل، ط/1، سنة: 1990.
8. أبو الفرج محمد بن اسحاق المعروف بابن النديم (438)، تحقيق: ابراهيم رمضان، دار المعرفة، ط/2، سنة: 1997، بيروت، لبنان.
9. أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري جار الله (538هـ) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، ط/3، سنة: 1408هـ، بيروت، لبنان.
10. أبو بكر الباقلائي، إعجاز القرآن، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف، ط/5، سنة: 1997، القاهرة، مصر/
11. أبو بكر عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، ط/3، سنة: 1992، القاهرة، مصر.
12. أبوبكر عبد القاهر الجرجاني (471هـ) أسرار البلاغة، تحقيق: محمود شاكر، مطبعة المدني، القاهرة مصر.
13. أبو عبد الله فيصل بن عبده، تسهيل البلاغة، دار الإيمان، سنة: 2006، الاسكندرية مصر.
14. أبو عثمان الجاحظ، البيان والتبيين، دارو مكتبة الهلال، سنة: 1423 ، بيروت، لبنان.
15. أبو محمد سعيد بن سنان الخفاجي (466)، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1982.

16. أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (395) الصناعتين، تحقيق : علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، سنة: 1419، بيروت، لبنان.
17. أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، ط/2، سنة: 1987، بيروت لبنان.
18. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، سلسلة: أحلام العرب، العدد: 8، القاهرة، مصر.
19. أحمد أحمد بدوي، عبد القاهر الجرجاني، وجهوده في البلاغة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، القاهرة، مصر.
20. أحمد بن إبراهيم الهاشمي، جواهر البلاغة، تدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت لبنان.
21. أحمد بن علي السبكي، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هندراوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، ط/1، سنة: 2003، بيروت، لبنان.
22. أحمد بن فارس (395) الصحابي في فقه اللغة، الناشر: محمد علي بيضون، ط/1 سنة: 1997.
23. أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة البيان، المعاني، البديع، ط/3، دار الكتب العلمية، سنة: 1993، بيروت، لبنان.
24. أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مكتبة لبنان ناشرون، ط/2، سنة: 2007، لبنان.
25. الأزهر الزناد، دروس البلاغة العربية، المركز العربي، ط/1، سنة: 1992، بيروت، لبنان.
26. الخطيب القزويني (739هـ)، الايضاح في علوم البلاغة، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/6، سنة: 1985.
27. السيد أحمد خليل، البلاغة العربية أصلها وأصولها، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، سنة: 1968، بيروت لبنان.
28. الشريف الجرجاني (816هـ) كتاب التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر دار الكتب العلمي ط/1، سنة: 1983 بيروت، لبنان.

29. الشريف المرتضى، أمانى المرتضى، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط/1، سنة: 1954.
30. الإمام الخطيب القزويني (739هـ) الايضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتاب اللبناني، ط/6، سنة 1985.
31. إنعام قوال عكاوي، المعجم المفصل في علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، مراجعة أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط/2 سنة: 1996، بيروت، لبنان.
32. أيمن أمين عبد الغنى، الكافي في البلاغة البيان والبديع والمعاني، دار التوفيقية للتراث، سنة: 2011، القاهرة، مصر.
33. بدر الدين بن مالك المصباح في علم المعاني والبيان والبديع، حققه احسنى عبد الجليل يوسف، مكتبة الآداب، سنة: 1989، القاهرة، مصر.
34. بهاء الدين السبكي (773هـ) عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق: عبد الحميد هندأوي، المكتبة العصرية، سنة: 2003، بيروت لبنان.
35. حسن بن إسماعيل الجانحي، البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، المكتبة الأزهرية، سنة: 2006، القاهرة، مصر.
36. حسن بن إسماعيل بن حسن الجناي، من قضايا البلاغة والنقد عند عبد القاهر الجرجاني، مركز النخب العلمية، 1981.
37. سليمان بن عبد العزيز بن عبد الله الموطأ في البلاغة ونظمه وشرحه، مكتبة الرشد، ط/1، سنة: 2024، الرياض، السعودية.
38. شمس الدين محمد بن أحمد عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق مجموعة من المحققين، مؤسسة الرسالة، ط/3، سنة: 1985.
39. شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (626هـ)، معجم الأدباء، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، ط/1، سنة: 1993، بيروت، لبنان.
40. شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ط/9، سنة: 1995، القاهرة مصر.
41. ضياء الدين بن الأثير (637هـ)، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار النهضة، القاهرة، مصر.

42. عبد الرحمان حسن حبنكة الميداني، البلاغة العربية أسسها، وعلومها، وفنونها، دار القلم ط/1، سنة: 1996.
43. عبد الرحمن بن خلدون (808هـ)، تاريخ ابن خلدون، تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، ط/1، سنة: 1981.
44. عبد الرحمن جلال الدين السيوطي (91هـ) المزهرة في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فؤاد على منصور، دار الكتب العلمية، ط/1، سنة: 1998، بيروت، لبنان.
45. عبد العزيز عبد المعطي عرفة، قضية الإعجاز القرآني وأثرها في تدوين البلاغة العربية، علم الكتب، ط/1، سنة: 1985.
46. عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، المجاز عند الإمام ابن تيمية وتلاميذه بين الإنكار والإقرار مكتبة وهبة، ط/1، سنة: 1995.
47. عبد المتعال الصعيدي، بغية الايضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، مكتبة الآداب، ط/17، سنة: 2005.
48. عبده عبد العزيز قلقيلة، البلاغة الاصطلاحية، دار الفكر العربي، ط/3، سنة: 1992، القاهرة، مصر.
49. علي الجارم ومصطفى أمين البلاغة الواضحة ودليلها في ثوبها الجديد _ علم البيان _ عنى به: حسن السماحي سويدان، دار ابن كثير، ط/1، سنة: 2023.
50. علي بن عيسى بن علي أبو الحسن الرماني، النكت في إعجاز القرآن، تحقيق: محمد خلف الله، محمد زغلول سلام، دار المعارف، ط/3، سنة: 1976.
51. علي عشري زايد، البلاغة العربية تاريخها، مصادرها، مناهجها، مكتبة الشباب، سنة: 1982، القاهرة، مصر.
52. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط/11 سنة: 2007 عمان، الأردن.
53. فضل حسن عباس، البلاغة فنونها وأفنانها، دار الفرقان للنشر والتوزيع، ط/3، سنة: 1992، عمان الأردن.
54. محمد إبراهيم شادي، علوم البلاغة، دار اليقين، ط/1، سنة: 2011، المنصورة، مصر.

55. محمد أحمد قاسم محي الدين ديب، علوم البلاغة البديع والبيان والمعاني، المؤسسة الحديثة للكتاب، ط/1، سنة: 2003، طرابلس، لبنان.
56. محمد الأمين بن محمد المختار الشنقيطي، منع جواز المجاز في المنزل للتعبد والإجاز آثار محمد الأمين الشنقيطي، دار عطاءات العلم، ط/3، سنة: 1441.
57. محمد العبد، إبداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوب، دار المعارف، سنة: 1988، القاهرة، مصر.
58. محمد بركات حمدي، البلاغة العربية في ضوء منهج متكامل، دار البشير للنشر والتوزيع، ط/1 سنة: 1991 عمان، الأردن.
59. محمد بن عبد العزيز نصيف، زبدة البلاغة، دار طيبة، ط/2 سنة: 1442، مكة المكرمة.
60. محمد بن عبد الغني المصري، أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، في النقد الأدبي، دار المجدلاوي للنشر والتوزيع، سنة: 1986، عمان، الأردن.
61. محمد حماسة عبد اللطيف، لغة الشعر دراسة في الضرورة الشعرية، دار الشروق، سنة: 1996، بيروت، لبنان.
62. محمد مذبحي، المجاز مباحثه وشواهد، دار كنوز للإنتاج للنشر والتوزيع سنة: 2013.
63. مصطفى بدر زيد، البلاغة التطبيقية، المكتبة الأزهرية، ط/1، سنة: 1926، القاهرة، مصر.
64. مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دار إحياء التراث، سنة: 1941، بيروت، لبنان.
65. مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية دار الكتاب العربي، ط/8، سنة: 2005، بيروت.
66. وليد قصاب، التراث النقدي والبلاغي للمعتزلة، دار الثقافة، سنة: 1985، الدوحة، قطر.
67. وهبة المهندس، معجم المصطلحات الأدبية في اللغة والأدب، سنة: 1979، بيروت.
68. يحيى بن حمزة العلوي (745هـ)، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز، الناشر: المكتبة العصرية، ط/1، سنة: 1423، بيروت لبنان.
69. يوسف أبو العدوس، مدخل إلى البلاغة، دار المسيرة، ط/1، سنة: 2007، عمان الأردن.

الفهرس

السداسي الأول: وحدة التعليم الأساسية	
الصفحة	المادة: البلاغة العربية محاضرات + أعمال موجهة
أ / ب	مقدمة
6	المحاضرة الأولى علم البلاغة (. مفهومه ونشأته وتطوره)
6	البلاغة لغة واصطلاحا
9	ملامح نشأة البلاغة وتطورها ومضامها
9	المرحلة الأولى: نشأتها
17	المرحلة الثانية: التكامل المشترك
23	المرحلة الثالثة: الاستقرار
25	من رجال البلاغة
34	المحاضرة الثانية الفصاحة
34	الفصاحة لغة واصطلاحا
35	فصاحة الكلمة، فصاحة الكلام، وفصاحة المتكلم
45	المحاضرة الثالثة الأسلوب الخبري، تعريفه، توجيهاته، أربه
50	المحاضرة الرابعة الأسلوب الإنشائي
50	الإنشاء الطلبي
54	الإنشاء غير الطلبي
56	المحاضرة الخامسة التقديم والتأخير
56	تعريفه، بنيته، وأغراضه
59	المحاضرة السادسة الفصل والوصل
59	تعريفه، مواضعه بلاغته
64	المحاضرة السابعة الحقيقة والمجاز
66	المحاضرة الثامنة المجاز في التراث

68	المتكلمون والبحث اللغوي
75	المحاضرة التاسعة من مباحث المجاز في التراث البلاغي
79	المحاضرة العاشرة المجاز وأنواعه (العقلي واللغوي)
84	المحاضرة الحادية عشرة التشبيه أقسامه، أنواعه وضروبه
88	المحاضرة الثانية عشرة الاستعارة، تعريفها، أنواعها وبلاغتها
91	المحاضرة الثالثة عشرة الكناية، أنواعها وبلاغتها
96	المحاضرة الرابعة عشرة المحسنات المعنوية: الطباق، المقابلة، التورية
99	المحاضرة الخامسة عشرة المحسنات اللفظية: السجع الجناس
101	المحاضرة السادسة عشرة أسلوب القصر
108	المصادر والمراجع
114	الفهرس